الكتاب : النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة
المؤلف : المطهر بن محمد الجرموزي

وروي أنهم يغفلون ويسافرون ويستأجرون من يقبضها لهم والعجم يعرفون ذلك حتى لم يبق إلى الحاج أحمد [رحمه الله] التفات ومثلهم وأكثر منهم الكلبييون من الظاهر وبني صريم وأن الرجل صار يكتب ابنته جامكية ويسميها ولداً في الدفتر بأن يحذف هاء التأنيث من نحو سعيدة، فصاروا منهم وحفظوا بلادهم من جنود الحق وقتلوا دونها كما سيأتي قاتلهم الله، وكان وصل الإمام عليه السلام الأمير المسيح ابن المطهر بن ناصر الحمزي من الجوف حابساً نفسه للجهاد في نحو من ستين فارساً فقام به الإمام عليه السلام وقد كان الإمام عليه السلام جعل البلاد التي كانت بنظر القاضي الهادي رحمه الله بنظر القاضي الأعلم جمال الدين علي بن أحمد بن أبي الرجال، وقد صلحت به البلاد، وأمره الإمام عليه السلام لهذا الأمير بالطاعة فصار إليه وامتثل فيه أمر الإمام عليه السلام وطلع من بني قيس إلى الحيري من آل أبي الحسين، وقصده العجم من خمر والأمير علي بن المطهر بن الشويع فقاتل يوماً وقتل من أصحابه نفر من الأشراف، (وانقضت حالته) على هزيمته إلى بني قيس ونهبت أثقاله وبقي أياماً، ثم عاد إلى موالاة الترك، ثم صار إلى ابن عمه الأمير حسين إلى جبل اللوز، وبقيت بلاد المشارق قبل هربه تضطرب.

وأما بلاد سفيان ومحطة عيان فقد تقدم أن الأمير عابدين بن مطهر واثنان من أغوات العجم كانوا رتبة في عيان أيام جعفر باشا وأيام الأمير حيدر والأمير صفر فأفسدوا قبائل سفيان حتى كتبوا منهم نحو ألف نفر [ق/447] كما تقدم من خولان والكلبيين، فخاف الإمام عليه السلام على صعدة، وقد جعل أيضاً أهل بلاد خيوان رتبة مع الشريف أبي الغيث بن [.........] من قرابة الأمير علي بن مطهر، والأمير عابدين بن مطهر وكان [قد] هرب من عند العجم إلى عند القاضي الهادي رحمه الله أيام جعفر باشا، وغزا مع

القاضي الهادي ونصح، ووقع فيه صائبة في غزاة جرف عبلة من أسفل السر من بلاد ذي مرمر فإن هذه الغزاة قل مثلها لأنها قريبة من الباشا جعفر وكان مخيماً في روضة صنعاء فحصل من هذا طيبة نفس الإمام عليه السلام عليه فولاه بلاد خولان وخيار وبني قيس، وأمره بحفظ الطريق في ما بين خيار وعيان فخان الله سبحانه وتعالى وكاد يفسد البلاد ويجمع خيلاً إلى عيان، ثم يستعيدون صعدة للعجم، وقد اجتمع بخاله الأمير عابدين سراً وقدم إلى حوالي صعدة فبسط له السيد شمس الدين أحمد بن المهدي رحمه الله حتى دخل صعدة وهو لا يعرف أن السيد أحمد قد عرف ما هو عليه، ثم قبض عليه وعرف الإمام عليه السلام فأمر بأخذ سلاحه وفرسه وهي من شرائف الخيل قل مثلها، وطرده الجوف ولم يلبث إلا قليلاً بعدها، وهلك هنالك، فأرسل الإمام عليه السلام لحفظ ذلك المحل السيد أحمد بن محمد الطويل والسيد عبد الله بن الهادي الرحبي، ثم خاف الإمام عليه السلام من هذه المحطة في عيان أن يستفحل أمرها وأن غيره لا يؤثر فيها فإنه

قد أفسد أهل المشارق بالعطاء فاستعان الله سبحانه وتعالى، وطلب الحاج شمس الدين من خولان بلقاه، وكتب إلى السيد أحمد بن المهدي والسادة في الشام وإلى القضاة أهل برط ونواحي المشرق، وأبقى ولده صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله في شهارة، وكان قد ولى على المشرق الشيخ واصل بن علي السيراني عافاه الله، ثم خرج والمراتب كلها على مولانا محمد رضوان الله عليه فتقدم إلى الهجر وجهز الأمير مطهر بن عبد الرحمن إلى حجة كما تقدم، وكانت القضايا المذكورة ووصله إلى الهجر الشيخ صلاح بن محمد الغشمي من غشم المسيجد، وكان مع العجم معظماً، وكان تلو الشيخ أحمد الشامي صاحب الفصيرة الآتي ذكرها هارباً إلى الإمام عليه السلام وطلب من الإمام عليه السلام الإعانة ويلزم بيته على العجم ويعمره، ففعل الإمام عليه السلام وكتب إلى السيد شمس الدين أحمد بن محمد المحنكي الحيداني وغربان أنهم يعينونه ويمدونه ففعل وفعلوا وعمر بيته وغزاه الترك مراراً وهو يحفظ [ق/448] نفسه ويقتل منهم، ثم تأتيه الأمداد من غربان والمراتب الإمامية، وتم

على ذلك حتى حصل الصلح الكبير، واتفق في الهجر قضية سمعناها من غير واحد ولا أعرف أسماء أهلها ولا كنت شاهداً إلا أن الإمام عليه السلام طلب بزاً ودراهم قرضة من بعض تجار الهجر فاعتذره ثلاثة أنفار وحملوا دراهمهم وأرادوا النزول تهامة فوصلوا إلى خارج الهجر قريباً من غربي عذر وعميت أبصارهم فلا يهتدوا فصاحوا بالحي وهم قريب أن ردونا فردوهم فتوسلوا إلى الله سبحانه بالإمام عليه السلام ودعا لهم فشفاهم الله تعالى وأعانوه بما أمكن، وتقدم

إلى موضع يسمى الرحضة من أعلى سفيان، وكان حي الفقيه الفاضل عماد الدين يحيى بن صلاح الثلائي من قواعده مع أصحابه أنه يلزم أحد الفقهاء يمضون على الراتب كل ليلة أحد وأربعين شرفاً سورة يس ومن قوم سورة الفيل، ولما علم بخروج الإمام عليه السلام إلى هذا الموضع وجهات سفيان وهو يعرفها فبقي حائراً متبلداً شجناً على الإمام عليه السلام ثم ثنى الراتب، وكان كثيراً لا ينام حتى وصل الخبر بطلوع الرحضة فرأيته يعيد ذلك على الرسول ويقول: ظهر الإمام والحمد لله رب العالمين، فلما وصل الإمام إلى هذا الموضع وصل السيد شمس الدين أحمد بن المهدي بأهل الشام والأمداد الكثيرة وأهل برط وجهات المشارق، [ووصل الحاج شمس الدين كذلك بجمع من بلاد سفيان وغيرهم] فلما تكاثرت المراكز حول مدينة عيان وأحاطت المراتب خاطب الأمير عابدين إلى الإمام عليه السلام أنه يفرج عنه ويخرج الجوف بمن معه من عسكر الترك، وكان عليهم حمزة آغا وآخر خفي علي اسمه فأجابه الإمام عليه السلام إلى ذلك ورآه الصواب فإنه خاف من طول المقام اختلال ما بعده ومع المباشرة للحرب خاف افتراق سفيان واختلالهم فإن عسكره من عيونهم فعرفه الإمام عليه السلام على أنه ينزل الجوف وطلب من الإمام عليه السلام أربعمائة جمل تحمل أثقاله ومن معه، فحصلها له الإمام ثم يخرجون من الجوف بيحان ثم رداع من مشارق اليمن، فلما ذهبوا تقدم الإمام عليه السلام ورأى خراب هذه البلد،

وكانت فيما يقولون حصينة على باب فهدمها ووجد فيها خموراً كثيرة، وعدل السائلة العظمى إليها ولم يبق إلا المشهد المقدس مشهد القاسم بن علي عليه

السلام وهو خارجها المعروف بمذاقة، ولقد أخبر البريد أنه كان يباشر الخراب بيده الشريفة ويقرأ {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}، وكان خرابها [ق/449] في شهر القعدة سنة ست وعشرين وألف[أكتوبر 1617م]، ثم توجه إلى بلاد وادعة بجموع كثيرة من أهل المشارق وصار إلى قرية الأشطوط من بلاد الصبيحات وكتب إلى غربان وطلب الفقيه عماد الدين يحيى بن صلاح للاجتماع إلى غربان، ثم يكون القدوم على محطة خمر في يوم واحد وقد فرق للقبائل رايات، وأرسل السيد الطاهر العلامة محمد بن علي بن عشيش رحمه الله ليصلح ما بين عيال قاسم وعيال الأمير من غربان فوصل وفعل ذلك، ثم اجتمع غربان وعزموا إلى المسيجد وهم نحو من ثمانمائة عسكراً مع السيد أحمد بن محمد المحنكي والفقيه يحيى بن صلاح على أصحابه، فلما جاوزنا المسيجد نريد القرب من محاط الإمام عليه السلام حتى اتصلنا بخيران من أقرب موضع من محطة حمومة، وتظهرنا ونحن ننتظر محاط الإمام عليه السلام وإذا بالتعشيرة في المحطة والبيارق منشورة نراها في محطة حمومة فاختلج علينا الأمر، وإذا برجل من غشم يخبر السادة الذين يعرفهم ويعرفونه بصوت مرتفع: لا يغرونكم فإنما الرؤوس الذين أخذوا ثمانية عشر رأساً وكذا، فإذا الإمام عليه السلام قدم السيد عز الدين محمد بن عامر بن علي (رحمه الله) ، والسيد الحسن الشامي الواصل بغارة من قبل السيد أحمد بن المهدي رحمه الله فأشار عليهم من أشار بطلوع العسكر أول الليل إلى وادي دماج، ولما صح لأهل خمر طلوعهم إلى ذلك الموضع، والحاج شمس الدين في جبل صبيح وكان

في خمر عدة أمراء عليهم أمير يسمى شالق مصطفى فيقال إن المشير عليهم الأمير علي بن مطهربن الشويع إنكم اغزوهم إلى الوادي في الليل قبل أن يجتمعوا عليكم، فتجهز إليهم أمير وعسكر في الربع الأخير من الليل فألفوهم آمنين لا يخطر ببالهم أن العجم تقصدهم

وإنما هم في انتظار الدخول عليهم محطتهم، فأوقعوا بهم وهزموهم واحتزوا رؤوساً من القتلى أكثر مما ذكره العشمي، وانتهبوا المحطة وما فيها وبغل السيد الحسن.

وأما الحاج شمس الدين فأغار عند طلوع الشمس إلى الحشحلش ففاتوه فانتهب من قراش أهل الحشحلش، وجموع غربان رجعت المسيجد، فلما بلغ الإمام عليه السلام أغار بنفسه حتى طلع قيهمة من أعلى بني مالك ووجد الناس قد تفاشلوا ولم يكونوا عسكر حرب إنما هم غارات مجموعة فإن عساكره عليه السلام من بلاد بني حيش وحجة ولاعة كما تقدم ذكر ذلك، وكان عسكر الترك أخذهم الله في خمر فوق ثلاثة آلاف قصبة بندق من غير أهل البلاد والخيل [ق/450] والعرب فيكونوا قريباً من خمسة آلاف، فرجع عليه السلام وتردد في وادعة كما سيأتي إن شاء الله تعالى واتهم وادعة بعض كبرائهم بأنهم أعملوا في الهزيمة فحلفهم الإمام عليه السلام طيبة لنفسه ونفوس وادعة.

[أخبار ذيفان]

وأما قضية موالاة أهل ذيفان ورتبة العرقة من أعلى الصيد فإنه اتفق على الأمير ناصر بن حمزة الذيفاني من الأمير محمد خمخم ما أغضبه، وكان عنده رتبة من العجم فطردهم ونصّر للإمام عليه السلام وأرسل إلى بلاد الصيد وبني زهير فتقدم بهم القاضي جمال الدين علي بن أحمد بن أبي الرجال، وحفظوا ذيفان وقطعوا الطريق على محطة العجم، وغزا الأشراف إلى البون، ثم إن الأمير المذكور أرسل عليهم محطة من عنده من الصرارة، ثم خرجت أخرى من صنعاء وجمعوا عليهم فأخرجوهم من ذيفان بعد حرب شديد قتل فيه من الفريقين جماعة، وأخرج الأشراف أهلهم إلى العرقة أعلى الصيد مما يلي ذيفان، وكان في خمر عند شالق مصطفى بن عم الأمير ناصر الشريف الفارس عبد الله بن محمد وكان له مع العجم حالة فلما بلغه ما بين [ابن] عمه والعجم وقد كاتبه أن ينجا بنفسه إلى الإمام عليه السلام لا يؤاخذ بجريرته هرب إلى الإمام عليه السلام إلى شهارة المحروسة، وكانت هذه الفتوحات قبل خروج الإمام عليه السلام عيان فعظمه الإمام وكان هذا الأمير عبد الله في حكم

الغافل عن الإمامة وطريق آبائه الكرام، فلما عرف الإمام عليه السلام ورأى أحواله الشريفة ومن عنده من الفضلاء أقبل إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة الخالصة وأذهب ما عليه من لباس العجم، وكان له أحوال طيبة، واستمر على ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقد تقدم في ذكر غارب أثلة أن من أسرائها الأمير عامر بن حسن الذيفاني وابن أخيه أحمد، ولما صلح حال هذا الأمير عبد الله ضمن على الأمير عامر وجماعة مثل جوهر كاشف من أصحاب الأمير درويش

وأصله من عبيدهم، والشيخ محمد عجير المعروف بأبي وردة إلى نحو اثني عشر فارساً وأطلقهم الإمام عليه السلام من الحبس، وأحسن إليهم وأعطاهم سلاحاً وخيلاً ثم أرسلهم إلى الأمير ناصر.

وأما الأمير عبد الله فلم تطب نفسه لمفارقة الإمام عليه السلام ولهم في أيام بقائهم في العرقة بعض مغازي ثم انقطعوا من بلادهم وذهبت أموالهم فثقل على الإمام عليه السلام كفايتهم، وكانوا أهل سعة دائرة ولا يعرفون قانون الإمام عليه السلام [ق/451] فكفاهم الإمام وأعطاهم العطاء الجزيل، وكان فرحان كاشف قد صبغ فيه عطاء العجم وكان من الأشرار، فحملهم آخر المدة على الرجوع في الحافرة وذهاب الدنيا والآخرة، ولم يفعل لهم العجم غير أن أرجعوا لهم حصنهم، ثم تعقب فضيحتهم الصلح، ولما طلع الإمام عليه السلام إلى ظفار وذيبين لزيارة الأئمة عليهم السلام واستنهاض حاشد وبكيل، ووصله هذا الأمير حمزة وأنا شاهد ذلك، وأعطاه الإمام عليه السلام ما وصل له من النذور وغيرها حتى لقد حملوا على الجمال البر وغيره من غير النقود والسلاح، ولما تودع الإمام عليه السلام وقد وصل له من المشارق نذور من الغنم الكبار والضيافات فأمر أن يلحقوه ما بقي منها فكانت ستمائة رأس غنم من الكبار، واستمالهم هذا العبد حتى خسروا الدنيا والآخرة، ولقد كان الإمام عليه السلام يحمل لهم الطعام من شهارة إلى العرقة كل شهر قافلة من غير ما يحصل من الصيد وجهاته.

وأما الأمير عبد الله بن محمد فاستقام على التوبة وأقبل إليها وظهر أثرها عليه، وكان كثير الملازمة للمسجد ووضائف الطاعات حتى توفي رحمه الله بعد وفاة الإمام عليه السلام بأشهر في درب الأمير من أعمال أقر، وأراد الإمام المؤيد بالله سلام الله عليه أن ينزل من شهارة للصلاة عليه فاستناب لذلك، وكان في هذا الأمير شجاعة وفراسة غير أنه غافل عن النظر في سبيل سلفه وثمرة تكليفه، ولقد حدث الإمام عليه السلام وكذا مولانا الحسن بن شرف الدين نفع الله به وغيرهما وسمعت ذلك منه أيضاً بغريبة وآية عجيبة أنه كان حي عمه الأمير الكبير الفارس الشهير حمزة بن أحمد الذيفاني بعد انقطاع دولة المطهر بن الإمام شرف الدين وأولاده صار إلى العجم وعظموه، ولما دعا الإمام عليه السلام وقد تولج في صنعاء وكثر أولاده فيها أمر ولديه ناصر والهادي بالمسير إلى الإمام عليه السلام وأن يجاهدوا معه على أنهما خالفاه، وكان لهما في القضية الأولى جهاد حسن وتأثير، ثم إن الترك أمروه بالخروج معهم لحرب الإمام عليه السلام فتعلل على الانتصاب في وجه الإمام عليه السلام فما قبلوا منه، ثم أخرجوه مع أمير للعجم يسمى أحمد شوبان إلى جهة ألهان.

[من كرامات الإمام]

قال الأمير عبد الله المذكور: وكنت أختص بعمي هذا ولا أفارقه ووصلنا من ذيفان أخبار الصيد وقيامهم مع الإمام عليه السلام وغزوهم مواضعنا وأطرافنا، فكنت أقول لعمي: نعود جهاتنا [ق/452]ونقاتل عن بلدنا وقطائعنا وهو لا يرضى شيئاً من ذلك ويتعلل علي فشكوت على الأمير التركي واتفقت معه أنه يكتب لي إلى طاغيتهم سنان لعنه الله أن يجهز معي محطة إلى المنجدة من أعلى البون المتصل بذيفان حتى نحفظ البون وما إليه، ففعل وأرسل معي الباشا سنان لعنه الله عسكراً مع رئيس عليهم وقد أغضبت عمي فقل طمعهم من بلادنا، ثم إنه بلغني أن الصيد يحتاجون الأسواق والحوائج من جهات المغارب فيجتمعون إلى ثلاثين أو أربعين نفراً ويقطعون البون إلى بلادنا، فقلت في نفسي لما فيها من عداوتهم وبغضهم لو كمنت لهم في البون وأشفي صدري بقتل ما قدرت عليه منهم

فإنما هم أهل سفر لا حالة لهم وأقطع أني أقدر أقتلهم لما أجد في نفسي من القوة وما قد خالطني من عداوتهم مع أن لي فرساً لا نظير لها في ذلك الوقت، فكمنت ليلة ثم أخرى ولم أجد منهم أحداً، وفي الثالثة أو الرابعة نظرت سواداً مقبلاً من جهة الصيد حزرت ذلك سواد أربعين رجلاً فاستفرهت فرسي وتأهبت لهم، فلما قرب مني ذلك السواد فإذا هي دابة عظيمة كأنما هي البيت القصير المتوسط لها عنق ليس بالطويل، وعرض ظهرها وطولها نحو من عشرة أذرع أو يزيد على ذلك تمشي رويداً ولها حركة، قال: فقلت وهذه قتلها مفخرة أحوزها فحركت فرسي للحملة عليها ويممت الرمح معظم سوادها، فلما قربت منها رفعت أذنيها كأنما كل واحدة إهاب شاة ففرت

الفرس من تحتي لا أملكها حتى جاوزت غلوة شوط الفرس، ثم أعدتها فعادت كذلك ثم لا زال كذلك مني ومنها حتى تعلقت هذه الدابة جبل الكلبيين من جهات صيحان، فلما صعدت الجبل ترامى من حافرها الشرر ونزل من الجبل حجارة كل حجارة منها كالشاة فأخذتني رعدة وفشل، وعدت موضعي ولم أعد لمثل ذلك ولا تعرضت بعدها إلى ما يكره الإمام عليه السلام وأخبرني أنه لما أخبر الإمام عليه السلام بهذه الآية وقد عرفه أن مثل هذه لا نعرفها لا في بلادنا ولا في غيرها وإني أعرف الجبال المذكورة ما أعلم فيها بمغارة تواري هذه، قال: فقال الإمام عليه السلام: هذه يا ولدي مما علمه الله ولا يعلمه الخلق جعلها لك موعظة وذكرى وحماية لك مما كنت عزمت عليه، قال: وقال السيد الحسن مثل ذلك وزاد بأن ذلك [ق/453]من كرامات الإمام عليه السلام، وذكرنا هذه الكرامة بطولها عبرة وتذكرة. انتهى.

[ولاية أحمد بن الإمام القاسم على صعدة]

وفي بقاء مولانا الإمام عليه السلام في وادعة وهذه الأيام لم يتقيد أهل الشام للسيد شمس الدين أحمد بن المهدي رحمه الله وكادوا يفسدون عليه صعدة وأدلوا عليه بأنهم الذي فتحوها من غير الإمام عليه السلام وكثرت مطالعته إلى الإمام عليه السلام بمثل ذلك حتى

استرجح الإمام أن ولى ولده مولانا أحمد بن أمير المؤمنين أطال الله بقاه فحفظها وقمع مردتها وغزا الأطراف حتى استقامت له، وقد عهد إليه الإمام عليه السلام في مثل ذلك، ولا بد من ذكر ما تيسر من جمل أخباره فيها إن شاء الله تعالى.

[أخبار الوالي محمد باشا]

فصل: في أخبار جهات الحيمة وحضور جهات آنس وحراز في هذه النهضة الرابعة، فذكرنا استيلاء حي الشيخ المجاهد عبد الله بن سعيد الطير رحمه الله على حضور مع الحيمة وأن السيد العلامة أحمد بن علي الشامي أطال الله بقاه كان على نصف الحيمة، والنصف الآخر وحضور إلى الشيخ عبد الله، وكان القاضي عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي منضماً إلى الشيخ عبد الله وإليه بلاد، ولحق به الشيخ محمد بن عز الدين البروي في آخر الأيام وصارت إليه بلاد بنظر الشيخ المذكور وعظم جانب الحيمة على الترك أخذهم الله، فلما وصل محمد باشا وكان من شياطين العجم وذوي تدبيرهم بحيث أنه وضع في نظم الأمور ما يضرب به المثل، ولقد كان يخبرني حي مولانا الحسن رضوان الله عليه بعجيب وكذلك غيره، وكان كاتباً بليغاً وينظم أرزاق العسكر بيده وكان كثير المال، مما أخبر عنه أنه كان ينفق على العسكر من ماله الذي وصل به من مصر.

وأخبرني حي الأمير سنبل رحمه الله بمثل ذلك وقال: لا يختلط معه مخزان المخرج والمدخول ويصف من نظمه دنياه عجباً، وهو الذي وسع ما كان أسس من تأليف من يخافه بأن يكتبه جامكية ويفسده حتى يصير من أعوانه، ولذلك إنه أغلق باب جهات القبلة بمن فيها من الرتب لأنه جعل جوامك كما تقدم لأهل البلاد وكذا خولان، ثم إنه صرف همته إلى جانب الحيمة فأمر وزيره الأمير دمر الخارج معه من مصر وجماعة الأمراء مثل الأمير محمد بن سنان وكان من ملوكهم وأبوه سنان معروف بالظلم [ق/454] والعتو، وكان هذا تلو أبيه في خصاله، وكان كثيراً التوابع والمال، ومنهم الأمير خضر، ومنهم الأمير سهيل، ومنهم الأمير إبراهيم الداعي، ومنهم من الأشراف الأمير محمد بن عبد الرحمن وغيرهم، ثم

مشائخ جهات اليمن وآنس حتى روي أن الذي طلع حضور ستة آلاف من غير الخيل، ولما بلغ السيد شمس الدين أحمد بن علي والشيخ المجاهد عبد الله بن سعيد الطير جمعوا له قبائل الحيمة واجتمعوا إلى بركة متنة من سهمان، وتعاقدوا وتعاضدوا أنهم يداً واحدة لقتال العدو، ووصل لهم رايات وأحمال باروت ورصاص من الإمام عليه السلام وطلع العجم وألفافهم إلى بيت ردم وزحفت إليهم جنود الحق، وكانت حروباً شديدة ثم غلبتهم الخيل فانتقلت المراتب الإمامية إلى جانب بني مطر بشطوان وبيت الجهراني المسمى شعبان، فكان فيه الشيخ المجاهد علي بن عبد الله الطير والشيخ المجاهد عبده ركبة الكشري، وكان نادرة في الرمي وغيرهم، وإليهم عيون مثل القاضي شمس الدين أحمد بن عامر الذماري وغيرهم، وفي يازل من بني سوار القاضي المجاهد عماد الدين

يحيى بن أحمد المخلافي وإليه عيون من قبائله، وبلد القذف فيه الشيخ جمال الدين علي بن عبد الله المنامة وعيون قبائله بالأحبوب، وبنو السياغ عليهم الشيخ الكامل وصنوه الشيخ غانم العجلي وداعر في الحازة فيه قبائل بني مهلهل وبنو عمرو وبنو النمري وحلفاؤهم، ومثل بيت شعيب فيه بلاد القبائل ومن أسفال الحيمة من بني يوسف، وبني الحذيفي وحجحج وبني حجاج وغيرهم، فتقدم العجم إلى بيت الجهراني بالمدافع وحاربوه أربعة أشهر وأياماً حتى هدموا منازله، وكان المدافع والزبرطان يثقب الدار، وانقسم أهل المركز منهم من يرمي من موضع الثقب، ومنهم من يعمره حتى طال عليهم، وقد ملك العجم شظوان بعد حروب كثيرة وكان المجاهدون يحصرونهم حتى تمدهم الغارة من بيت ردم، ولما طال عليهم ذلك تأخرت المراتب التي في جانب بني مطر إلى بلاد الثلث وما يقرب منه، وتقدمت العجم بجميع محاطهم إلى بركة متنة أعلى قاع سهمان، وكانوا يتشرعون للحرب على القذف وهو أقرب مرتبة إليهم حتى يحيطوا به، ثم يجتمع المجاهدون إلى السيد أحمد والشيخ عبد الله ثم يحملون عليهم ويهزمونهم إلى المحطة، وكانت هذه المراكزة أكثر من تسعة

أشهر وقد يسرحون إلى غير القذف ويعودون كذلك حتى ضربت [ق/455] الأمثال بأهل القذف.

[ذكر اختلال الحيمة وأسبابه]

وذلك أنه كان بينهم اختلاف بسبب حصن يناع ووقع في أيام استقرار الشيخ عبد الله الطير في حضور والسيد أحمد في الحيمة اختلاف كثير وحروب، وتداعت الأحلاف حتى قيل: إن بسببهم اختلفت القبائل إلى بلاد الجوف والمغارب، وكان أصل ذلك أن الحصن هذا صار إلى السلاطين ثم إنهم خرجوا منه فبعضهم صار إلى بني السياغ، وبعضهم إلى بني مهلهل وهما صفان يعني بني مهلهل صف، وبني السياغ صف، ثم إن رجلاً من السلاطين الذين في بني السياغ يسمى الأسد غدر بأصحابه السلاطين من بني مهلهل وسرق عليهم الحصن، فاختلف القبيلتان لأجل ذلك وحصل الضرر على بني مهلهل، وعظم بينهم ذلك حتى أن الترك لما خرجوا عليهم أصلحوا وتعاهدوا وتعاقدوا كما سبق، وكان منهم ما تقدم من الجهاد ويعطي بينهم الاختلاف، ثم إن صاحب يناع غزا على سبيل الغيالة بني مهلهل لغارات فشكى بنو مهلهل على صفهم كأهل المخلاف، وبني سليمان وبني شهاب وغيرهم وبني عمرو ففتحوا على مشائخ الصف الآخر، فأجابوهم جواباً حاصله: إنا على عهد وكذا ولم ينفعوهم بما أرادوا حتى يقال إنهم أعادوا إليهم خطاباً في ذلك فأجابهم بنو السياغ على أنا في الجهاد والسلطان عندنا فالله أعلم أن شكواكم من أمراته أو كما قال، فعظمها يعني الكلمة الهوى وأساس العداوة وزخرف شياطين الإنس والجن، وصار إلى الترك الشيخ محمد بن عز الدين البروي فأعطوه وضيفة آغا من أغواتهم وجعلوه مقدماً لهم فأفسد غيره من ذلك الصف، ثم كاتب الأشرار إلى الباشا إلى صنعاء أن يرسل إليهم الشيخ الشقي قاسم الجرمي لعنه الله قاتل الحماطي فأرسلوه إلى

كوكبان، ثم انحدر إلى أسفل جبل تيس، وخرج إلى أسفل الحيمة إلى موضع من بني عمرو يسمى نعام وصار إليه كثير من ذلك الصف وكتبهم عسكراً والعجم يمدونه بالمال حتى

خلص له خمسمائة نفر من بني عمرو ومن إليهم، ومع ذلك الحرب قائمة والمخلصون من الصف المذكور ومن الصف الأعلى أصحاب الشيخ علي المنامة ثابتون في الجهاد ويحاربون أعداء الله ومن إليهم، واليد فيها لجنود الحق.

[ذكر استشهاد الشيخ المجاهد الصابر عبد الله بن سعيد الطير رحمه الله]

قد تقدم أنه كان في قرية جبل بيت خولان وكذلك السيد أحمد عافاه الله تعالى في الجبل فإذا أحاط العجم والعرب [ق/456] في مرتبة القذف أغاروا فأفرجوا عنهم وهزموا العجم هذا دأبهم، فكان في بعض هذه الأيام وقد تعاقد العجم على الوصول إلى القذف والدخول على الرتبة لو يهلكون على آخرهم، ولما أحاطوا به بمثل العادة أغار الشيخ جانباً والسيد أحمد جانباً، وكان أمر ليس بالهزل فلا زالوا حتى هزموا جنود الظالمين، والشيخ رحمه الله مشهر نفسه ويقاتل، فوصله رصاصة من بنادقهم مع هزيمتهم وحمله المجاهدون فما رآه حين صرع إلا الشيخ علي المنامة، وقليل من الخواص فوضعوا عليه ثوباً وستروه عن أعين المجاهدين، فهزموهم على العادة حتى أدخلوهم مخيمهم.

أخبرني الفقيه أحمد بن علي العلفي من السكون في سر بني الشقاق من الأحبوب أنه رآه على حال صرعه رحمه الله ولم يثبته معرفة لشدة الأمر ، قال: ثم رأيت الشيخ علي المنامة رحمه الله ممسك بقدميه وهو ساتر عليه بالثوب ويبكي وقد جعل قدميه في وجهه وهو يقول فيما بين ذلك: لا أبكي عليك وإنما أبكي على ديني فإني لا أصبر بعدك لأحد أو كما قال، ولما بلغ الترك أخذهم الله أظهروا البشارات في جميع محاطهم وفي صنعاء.

وأما أصحابه رحمة الله عليه فلما توفي أرسلوا لولده الشيخ المجاهد علي بن عبد الله الطير وكان تلو أبيه في الجهاد، وله قراءة وفقه ومجالس، فلما وصل عزوه بوالده، وقبروه في قرية بيت خولان وعقروا عليه وحلفوا لولده وعرفوا الإمام عليه السلام فصوب فعلهم وقرره، وكان الحرب على الظالمين ولم ينالوا خيراً، هذا وبنو عمرو والجرمي على تلك الحالة فلا زال حتى دخل المخلاف وكاد يخرب المراتب من وراءها بمن قد اجتمع له وهم كثيرون، والصف

الأعلى قد بذلوا النصيحة التي لا وراءها لئلا يقال: بنو فلان نقصوا عن مقامهم في الجهاد، وأن أصحاب الجرمي أقدر منهم على الظهور والتأثير، وكان [قد] وضع الترك أخذهم الله لبني عمرو وبني مهلهل ومن إليهم إرجاع يناع إليهم وكذا، فبلغني من كثير من أهل الحيمة أنه اجتمع كبراء الصف أصحاب المنامة وقالوا: الآن غلبنا ثم اتفقوا على أن الشيخ غانم السياغي العجلي يتقدم يواجه الأمير محمد بن سنان، ولا يصل إلى عند أمير العجم المسمى دمر، ففعل فعظم ذلك على دمر، وشمخ به، وبمن وصل معه الأمير محمد بن سنان، ثم استدعى أنه يصل إلى الباشا محمد بمسارة الأمير محمد بن سنان فطلبه الباشا، فلما وصل إليه قال: أنا رسول الشيخ علي [ق/457] المنامة، وكان قد عظم ذكره وعلا صيته عند العجم يعني الشيخ علي المنامة: وقال: لا يمكن أني أواجه ودمر كيخيا على هذه العساكر فإنه لا يعرف حقي ولا ولا، فعجل الأمر إلى الأمير محمد بن سنان وعزل دمر، فلما صار الأمر إلى ابن سنان هبط المنامة ومشائخ الصف الأعلى إليه، وأخرجوا الشيخ علي الطير إلى أسفل بلادهم، ثم

خرج إلى الإمام عليه السلام، وطلع ابن سنان وجميع المحاط إلى جبل حضور إلى موضع يسمى جبل الثويرين، وأقبلت الحيمة يواجهون من كل جهة واختفى السيد أحمد وأفرد من أصحابه والقاضي يحيى المخلافي اختفى في بلاده وأفرد، وغلظ عسكر العجم من أهل الحيمة، فالصف الأول عليهم المنامة، والأسفل عليهم الجرمي، والشيخ محمد بن عز الدين البروي، حتى صار البروي هذا في محرم من بلاد بني عمرو، وقد أنزلوا الأمير خضر من العجم إلى العر، وتبسطوا في البلاد، فعرف الصف الأسفل أنهم قد عابوا وخانوا الإمام، وله على كبرائهم أيادٍ وأن يناع لم يصح لهم بل قبضه العجم، وولوه بنظرهم برأي الشيخ المنامة وغيره، أنكم تسدوا بيننا تأخذونه لكم لا لنا ولا لخصومنا، وأخلفهم العجم ما وعدوهم به، وقد رأى ابن سنان أن المنامة الذي أوصله إلى الوزارة فإنهم عظموه بعدها، وصار إليه أكثر اليمن، ورأوا تبسط العجم عليهم، حتى أن الشيخ محمد بن عز الدين

البروي الذي يسموه آغا جعل خيمته في أعلى بيت الشيخ صلاح بن مفضل في بني عمرو، فندم أهل الحيمة على ما سبق، وعادوا إلى النظر في أنفسهم، وكان أول من ذكر لهم وقائم في نقض طاعة العجم الشيخ صلاح بن ناصر بن مفضل، فإنه كان يمشي في الليل إلى مواضع، ويجتمع بأعيان من الصفين، ثم يراسلون القاضي عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي، وقد وعدوهم القيام، واستوثق منهم، ووعدهم أنه يطلب من الإمام عليه السلام الحاج شمس الدين أحمد بن عواض يأتي إليه إلى المخلاف، ثم يظهرون لقتال العجم، وقد فسد المخلاف بعسكر البروي مع العجم، وإنما هذا في الليل سراً حتى استحكم

أمره، وطلبوا السيد شمس الدين أحمد بن علي أطال الله بقاه فوجد متخفياً في بعض البلاد، وقد اشتد به الخوف، وهم أن يلحق بالمشرق، ثم يرجع إلى الإمام عليه السلام كما سبق للشيخ علي بن عبد الله الطير وقد تبسط العجم، وأمنوا وفرقوا عسكرهم، فمنهم من رجع صنعاء، ومنهم من نزل العر مع الأمير خضر، ومنهم في جانب بني النمري مع الأمير سهيل، ومنهم من تفرق للمال مع المشائخ في الحيمة وحضور [ق/458] فتواعدوا للحرب على جبل الثويرين فأصبح مع القاضي عماد الدين جماعة نحو ثلاثمائة نفر فقط وأخلفه الباقون، فقصد بهم محطة ابن سنان على حين غفلة، فما شعروا إلا والرمي آخر النهار في أطرافهم فأحربوهم إلى الليل، وقد أرسل ابن سنان بخاتمه إلى الباشا أن أدركنا، فأرسل غارات من صنعاء وكوكبان، ولما يظهر القاضي يحيى بذلك عاد إلى عر بني سليمان والحصن المعروف بحصن بني سليمان، فوصل إليه بعض أهل العزائم في الليل، وأجابه أهل الجهاد حتى أصبح وقد اجتمع له فوق الألف، ولما استكمل للعجم عساكرهم قصدوه وحازوه في هذا الموضع بعض نهار فأغارت الحيمة حتى أغار الذين لم يتظهروا بالجهاد من قبل، فكسروا الجنود الظالمة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم شدد الرتب وجمع من أجابه، وظهر السيد أحمد بن علي عافاه الله تعالى فحاصروا العر ووقعت عليه حرب، ثم إن أسفل

الأحبوب يسمون المحاجرة والبعابعة وبني عباس نحو ثلاثمائة رجل عسكروا في خربة سودان موضعاً أعلى من العر وحاصروه من جهتهم، ثم خافوا من ابن سنان ومن معه فجعلوا رتباً في مواضع منها بيت حباب من أعلى ظهر الأحبوب وزالان موضعاً آخر،

وكان أهل البيت ينقسمون نصفين، نصف يدافع [عن] المحطة التي في العر من الطلوع، ونصف يقاتل محطة ابن سنان لا ينزل عليهم والغارات إليهم، وكان ذلك دأبهم أياماً، حتى وصلتهم غارة من كوكبان مع النقيب محمود، وحمل العجم والعرب وأهل كوكبان حتى أحاطوا بهذه المراتب، ووقع أمر ليس بالهزل، حتى لقد احتمل رتبة زالان صاحب لواء العجم وقتلوه وقتلوا معه كثيراً، ووصلت الغارات، فلما رأوا البيرق منصوباً على البيت ظنوهم العجم قد أخذوا المرتبة فكفوا وبردوا، وإلا فلو عرفوا أن الرتبة المنصورون لكانت قتلة هائلة في العجم ولا زالوا يكسرونهم حتى ردوهم، وقد قتل منهم جماعة كثيرون.
وأما الذين في بيت حباب فإنه أصيب النقيب محمود فحمل وانهزم أصحابه فقتل منهم فوق أربعين نفراً وكانت كسيرة، ثم بعد ذلك خاطب الأمير خضر أنهم يفرجون له بعد أن حاصروه محاصرة شديدة، فجرى الخطاب، وحمل بنوا عمرو الذين مع العجم الحرص على حصن يناع بأن منعه الشيخ الجرمي لعنه الله ومن إليه أن الأمير لا يجي طريق الأحبوب وهي [الطريق] المعتادة بل يخرجونه بلاد بني مهلهل، ثم بني سليمان، ثم الجبل ويكون الحصن لهم، ففعلوا ذلك وجعلوه لهم، فأخذه القاضي يحيى وصار له لطيب [ق/459] نفوس الفريقين.

وأخبرني القاضي عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي رحمه الله تعالى، قال: لما استقروا في جبل الثويرين قال تكلم محمد آغا البروي على ابن سنان، وعلى الترك، وأنه لم يحمد حربهم، وكان قد وشى به الوشاة أنه يفتك بالمحطة، ويأخذها لما يعرفون من سطوته، فكان ذلك مقوياً لما يعرفون فحملوه ليلاً إلى صنعاء وكبلوه في الحديد، وبقي محبوساً إلى أن قتله فضلي باشا لعنه الله.

قال القاضي رحمه الله: فكان ذلك من ألطاف الله تعالى، فما كنا نخاف أحداً خوفنا منه، ولما اجتمع جنود العجم تقدمت المراتب الإمامية، وأرسل الإمام الشيخ المجاهد صالح بن محمد حمران والشيخ المجاهد محمد بن صلاح البخض وغيرهم لإعانة القاضي يحيى، والسيد أحمد وكانت المراتب في بيت موجان من بني سوار، وفي بيت المفصر، وفي العر من بني سليمان، وفي رحب وفي الحصن، ومراتب السيد أحمد في أعلى الأحبوب وبعض بني النمري وسر بني الشقاق، وطالت الحروب حتى انعقد الصلح على هذه المواضع كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

[حرب بلاد آنس]

وأما بلاد آنس فإن أسفلها كانوا تمنعوا من الترك كبني أسعد وقد يرسل إليهم الإمام عليه السلام من تبقى معهم، منهم الوالد السيد جمال الدين علي بن المهدي رحمه الله، ومنهم السيد الهادي بن علي الشامي أخ السيد أحمد وقد ترجع جهات خولان، ثم أنه قد تقدم أن الباشا محمد اسستنفرهم إلى حضور والحيمة مع الأمير دمر، ثم وجههم الأمير ومن مع الأمير سهيل إلى جبل شظوان بني مطر فعظم عليهم حيث يأكل بلادهم غيرهم، وجعل الباشا واليهم من العجم معهم في شظوان فتمالوا على الحرب إلى بلادهم وحلفوا للشيخ أحمد بن داود الملاحي وكان معظماً مع التركي حتى لقد سموه آغا، وجعلوا له إقطاعات وجوامك وغيرها، فلما وصلوا بلادهم ساقوا للباشا ما رأوه من غير شدة فاتفق أن الملاحي خرج إلى بلاد ضوران، وكانوا إليه يطلبهم مطالب فاستظهروا عليه بالحداء وقتلوا من أصحابه قدر أربعين رجلاً وهزموه وقتل عليه من خيله فشكى ذلك على الباشا فقال: نصلح بينك وبين أهل ضوران والحدا فأغضب، وأرسل للسيد الهادي علي بن الشامي ومن في بني أسعد من أصحاب الإمام عليه السلام وأرسل للشيخ علي دهاق الدريدي والشيخ عاطف بن راجح، ثم حالفوه ونصروا للإمام عليه السلام وخرجوا على بلاد ضوران، وقتل من الحدا في جانب بلاد هداد مقتلة تقرب من الأربعين النفر واجتز منهم رؤوس ممن قتل

من أصحابه، فخرجت محطة من صنعاء [ق/460] والأمير جعفر من عظماء الترك من ذمار بمحطة والحدا فصاروا في جانب بكيل وبلاد مخلاف عاثين، ووقع حرب في يتار من أعلى بلاد سلامة انهزم فيه أهل المغرب، ولما عظم عليه الأمر راسل

إلى مشائخ قائفة وكانوا أصهاره هو متزوج منهم فوصلوا على صفة الغارة وقد كاتبوا الباشا أنهم يتقدمون ويخاطبونه ويشترطون له وكذا، فلما وصلوا صار إليهم وترك من عنده من آل المغرب ومن السادة، ثم توجه الأمير جعفر إلى بلاد آنس فأحربوا في بعضها، وقد قام معه الشيخ ناصر بن راجح فإنه قد والى الترك منذ وصل جعفر باشا كما تقدم وبقي السيد الهادي والشيخ علي بن دهاق إلى أن تم الصلح في بني أسعد وحصن ظفر والقارة.

[الاستيلاء على حصن مسار]

وأما بلاد حراز فقد تقدم أن حصن مسار صار إلى العجم فأرسل الإمام عليه السلام في هذه المدة السيد محمد بن علي بن حسين القراع، فأجابه كثير وأعانه أهل مسار فأخذوه من يد آغا من العجم ورفقوه، وبقي السيد محمد بن علي فيه ،وصعفان وما إليه في يد دعاة همدان، ثم حصل اختلاف بينهم فأرسل الإمام عليه السلام في أول عقد الصلح الآتي القاضي العلامة أحمد بن محمد السلفي رحمه الله لأنه خاف من السيد محمد بن علي أن يعود إلى شيء من تخلفات أحواله.

حرب بني علي

قد ذكرنا أن فيه رتبة في حصنهم أعلى جبل بني علي من قبل الإمام عليه السلام مع حي الشيخ عامر بن لهوس السعيد الأهنومي، ولما عادت المراتب كما تقدم بعد هزيمة بني جيش وبلاد جنب وقدم، وجهاتها خفف الإمام عليه السلام الرتبة فيه، وجعل عليهم الفقيه المجاهد علم الدين قاسم بن سعيد الشهاري رحمه الله وشيخ بني علي المسمى الشيخ سعيد بن صلاح العليي والشيخ عمار ونحو أربعين قصبة بنادق، ومن بني علي أصحاب الشيخ

سعيد قريباً من عشرين نفراً بنادق، وقد استقرت المراتب كما تقدم والحرب لا تزال، وبعد أن تقدم أمير العجم المسمى الأمير محمد خمخم إلى بيت بني علي المعروف بقرن اليهودي وقد جمع العسكر من بلاد حجة وبلاد عفار وبلاد كوكبان مع من عنده، ثم أرسل الجمهور إلى السودة إلى الأمير محمد بوتج وكان نظيره في المرتبة فاضطربت المراتب الإمامية، وكل مرتبة تقول الغزو لها فلما كان باقي ربع [من] الليل أو يقرب من الصبح وقد أصبحوا على بني علي بعد أن أخرجوا الأمير إبراهيم بن المعافا وأمراء من العجم إلى ظلعة البستان المقابل لحصن عتاد، وعسكروا هنالك، وتقدم جمهورهم [ق/461] إلى بني علي فأخذوا الجبل جميعه ولجأ أهله إلى الحصن، وكان مولانا محمد عليه السلام في حبور ظليمة وقد صار عنده نحو من أربعمائة عسكر مختارين معداً لهم للغارة، وكان ذلك دأبه مستمراً فلما سمع ابتداء الحرب أمرهم بالغارة مع القاضي المجاهد أحمد بن محمد السلفي رحمه الله، فلما قرب القاضي أحمد من المدائر سمع مولانا محمد عليه السلام الحرب في غربان أيضاً وسمعه من الموسم وسمعه في

المقعد، وكان عنده شيخان من غربان متهمان بالخيانة فأرادا تبرأة أنفسهما عنده فقالا له وهما ناصحان: يا مولانا إذا ذهبت المراتب وبقي غربان فهو أنفع أو كما قالا، وعضد ذلك غيرهما فأرسل عليه السلام إلى القاضي أحمد ومن معه أنهم يطلعون غربان ويتركون شظب فما وصلوا غربان إلا وقد تم الحرب وانهزم جنود العجم إلى خمر وإنما أرادوا يشغلون مدد غربان من شظب.

وأما حرب بني علي فإن السادة الكرام علي بن الحسن ومحمد بن صالح رحمهما الله تعالى جمعا من عندهما وتقدما للمدد إلى بني علي وأحربا حرباً عظيماً لم يقع على أن أنسل إليهم مكالف بني علي وصغارهم وبعض مواشيهم لأنهم سارعوا قبل أن ينفتح الصباح، فتفرق العجم في المواضع التي يحفظون فيها الطريق إلى الحصن، وهذا كان يوم السبت، وقتل من الفريقين جماعة وعادوا ثم وصلتهم الغارات من المراتب الإمامية، وقد لحق أمير

العجم محمد بوتج بنفسه وملك الجبل جميعه، وجعل على المجاهدين سبعة صفوف وبقي في قرية الجملول، ولما اجتمعت الأمداد من المراتب الإمامية يوم الأحد تقدموا للحلمة فطلعوا الجبل وقد أحصر أمراء العجم جنودهم فهزموا المجاهدين وعادوا في بعض الليل، وذلك يوم الأحد وتكاثرت الغارات وأحربوهم يوم الإثنين فانهزم المجاهدون كذلك، ثم الثلاثاء ثم الأربعاء ثم الخميس فكانت الحروب في جميع المراتب ستة أيام لا يفصل بين الفريقين إلا الليل، هذا والحرب في الظلعة كذلك وفي الموسم كذلك حتى لقد دخل ناصر بن محمد صبح عافاه الله إلى أعلى من الخف وكادوا يحصرونه أيضاً وكذا غربان وكذا في المقعد وكذا رتبة في العرض، وكذا

رتبة في بلاد عفار نزلت على جبل نيسا، وهم الإمام القاسم عليه السلام بأن يغير بنفسه وكان قد طلب ولده مولانا أحمد أطال الله بقاه لولاية صعدة كما سيأتي فهو عنده في النجيد، ووقعت هذه القضيه فأمره بالغارة إلى عند صنوه مولانا محمد عليه السلام فوصل إلى آخر الفصال.

قال [ق/462]القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين: إن الإمام عليه السلام أمر عمه العلامة الفاضل علي بن الحسين المسوري بالغارة وقد كان شيخاً، ثم قال: يا سيدنا أنا أعلم ضعفك عن مباشرة الجهاد إلا أني أخاف أن يراني الله سبحانه وتعالى سهلت في المسلمين أو كما قال، وخرج الحاج شمس الدين أحمد بن عواض رحمه الله المشرق للغارة، ووصلت غارة صعدة إلى قرن الوعر وحصل الفصال في اليوم السابع، وذلك أن مولانا محمد عليه السلام أغار إلى الغرب أعلى أخرف مما يلي بني محمد ولم يبق عنده إلا السادة والفقهاء وأهل العلم والحضرة، فلما وصل ذلك الموضع وأراد اللحوق بالمجاهدين وذلك يوم الجمعة فلزمه السادة، وقالوا له: لولم يبق عندك إلا المرفع[فإذا كان بقاك أولى] فإذا وصلت كان وهناً لأنه لم يبق معك مدد وإذا كنت في هذا الموضع قدر الولي والعدو إن عندك قوة تنتفع بها، وكان فيهم السيد العلامة عبد الله بن محمد المحرابي رحمه الله فقال: أنا أكفيك

ثم أجمعوا على الكيفية التي نذكرها إن شاء الله تعالى، فلما وصل السيد عبد الله رحمه الله وقد اجتمع المجاهدون من كل مرتبة، ومنهم من عند الإمام حتى قيل: إنهم صرفوا لهم القوت لثمانية آلاف، وأرسل مولانا محمد عليه السلام إلى جميع جهات المراتب بأن تفتح الحرب بعد

صلاة الجمعة، وقسمت الرايات وزحف الناس حتى كانوا في أسفل الجبل وجعل أهل البنادق البالغة وثقال الرجال صفاً واحداً، ثم طلع في الجبل وفعل صفاً ممن هو بعدهم ثم طلع في الجبل وفعل مثل ذلك، ثم تقدم مع باقي الجيش للحملة على محطة أميرهم وقد جمع عدو الله أصحابه على عادته وكانوا زهاء على خمسة آلاف، وقد تحصنوا في البيوت وذروة الجبل، ثم حملوا على المجاهدين فهزموهم حتى ألجوهم إلى المركز الأول من الثلاثة، وصالت فيهم الرجال ورمتهم البنادق ثم هزموا المجاهدين إلى المركز الثاني وثاروا فيهم كذلك ثم الثالث واستقامت الصفوف وكان أمر ليس بالهزل حتى دنا الليل وقد عجز العجم عن حمل جرحاهم، فعادوا والجنود الإمامية ملاحمون لهم حتى أدخلوهم المحطة وقد قتل من الظالمين فوق ثلاثمائة نفر واحتزوا منهم نحو سبعين رأساً، وعلى الجملة إنه لم يبق منهم خُبرة لم يقتل منهم أو يصاب فاشتغلوا بذلك وقد أيس المحتازون وخاطبوا وقد لقوا شدة وكادوا يأخذونهم قبضاً بالأيدي، وغيروا عليهم الماء بأن طرحوا إليه الدجر واقتلعوا بعض سور الحصن فظهر للعجم ضعفهم [ق/463] فحملوا من أكيد الحراسة سهلاً لذلك ولأنهم قد خاطبوا وطلبوا الأمان، ولما عرف الفقيه قاسم أصحابه اشتغال الترك عنهم بما هم فيه وبما يظنونه فيهم سلوا سيوفهم واقتحموا شرطة ومن فيها فهزموهم وقتلوا منهم، وخرجوا سالمين وهم أعرف بشعاب الحصن ولم يقتل منهم إلا أربعة أنفار أحدهم الفقيه صلاح بن علي الآنسي وعامر الحبسي العمراني وآخرين خفي علي أسماؤهم فما وصل آخر من كان في الحرب العمشية إلا وهم معهم، وكفاهم الله ذلك

الهول، وضربت الطبول والأرياح وأوقدت النيران بشارة بخروجهم، وأخذ أعداء الله الندم وهلاك من تقدم منهم، وفي سائر الأيام الست تكون قريباً من ذلك، ولما وقع هذه الحرب أيس الترك أخذهم الله من الطمع في بلاد الإمام عليه السلام ولم يكن بعده حرب مما يعتد به حتى تم الصلح والحمد لله رب العالمين.

[أخبار البلاد قبل الصلح]

فصل نذكر فيه الصلح وكيفيته وما تعقبه من وفاته صلوات الله عليه وسلامه فإن المشارق خصوصاً أجدبت وامتنع عنها المطر وكان أعظمها جهات خولان العالية فإنه لما جرى منه ما تقدم من نقض العهود بعد توكيدها، وكان ربما يظهر في المحافل الإستهزاء بالإمام عليه السلام لما يرون من عطاء العجم الواصل إلى بيوتهم من غير مشقة، وكان أول من سارع إلى نقض طاعة الإمام عليه السلام بنو سحام، ثم تلاهم بنو شداد وكان بنو جبر آخر من صار إليهم إلى جبال اللوز وصاروا محاطاً، وهذه من مكائد محمد باشا ودسيسة شياطين العرب، فجعلوا ناموس التقدم لأول سابق إلى طاعتهم مثل بني سحام وقدموهم على بني جبر وقدموا بني شداد على بني جبر في العطاء وديوانه لأجل سبقهم، فعظم ذلك على بني جبر ولهم عادة في التقدم على خولان وغيرهم وكثرت الإحن بينهم حتى أن كبراءهم كانوا يعسكرون بهم في جانب محطة العجم، ويجعلون نياراً مرتبة، ويلعبون على النار ويشعرون فذكروا بنو سحام بني جبر معرضين بهم لأخذ التقدم فحمل بعض بني جبر الغضب أن رمى شاعر بني سحام إلى عند النار فقتله، وثار الحيان يقتتلان، فقتل من هؤلاء وهؤلاء جماعة، ثم خرج عليهم جنود العجم فطردوا الفريقين من المحطة وقامت الخصومة بين خولان حتى كادوا يتفانون ووصل البلاء وانقطعت أرزاقهم من الأرض، ومع الصلح انقطعت عنهم مواد العجم واستخفوا بهم وأهملوهم ونزلوا المغارب، وهلكوا في أسواقها وطرقها حتى لقد روي ممن أذلهم الله أن منهم كثيراً ركبوا البر [ق/464] إلى الحبشة لطلب القوت.

وأخبرني رجل من أهل الحيمة قال: كان عندنا الشيخ نشوان أبو عريج السحامي ضيفاً في بعض بيوتنا فإذا دوشان من المداحين يتكلم من خارج البيت فقلنا: أخرجوا لهذا طعاماً فنظر الشيخ نشوان ذلك من حيث لا يراه، قال فرجع علينا وقد تغير كثيراً وحولق واسترجع فقلنا: ماذا يا شيخ؟ قال: هذا فلان من سلاطين بديدة بني جبر قد حمله الجوع والحاجة أن دخل مع هؤلاء ويظن [أنه لن] يعرفه أحد في هذه الأرض فلو يعرف أني قد رأيته وعرفته قتل نفسه، قال فسارعنا بأن أعطيناه شيئاً وسيرناه لا يعرف أبا عريج عندنا ومما سمعته فيهم من مولانا الإمام عليه السلام أني بعد الصلح استأذنته لزيارة أهلي إلى بني جرموز، فلما عدت إليه سلام الله عليه سألني عن المشارق فحملني ما شاهدت من أحوالها أن قلت صالحة من الشمس والريح، وأما المطر فلا عهد لها به فاستعادني فعدت عليه وكان منبطحاً فقام واستوى جالساً ثم نادى السيد العلامة صالح بن عبد الله وعنده غيره، وسيدنا العلامة عامر بن محمد رحمة الله عليه وقال: يا سيد صالح اسمع ما يقوله الشريف ثم وضع كفه الطاهرة علي، وقال: أخبره عن خولان يا بني أو كما قال، فأعدت عليه فرأيته بعد أن كان متبسماً قد أغضب، ثم قال خذلوني وكذا فسلط الله عليهم الجوع الأغبر، والموت الأحمر، ثم كرر ذلك وقال فيما بين ذلك وهم يقدرون على نصرتي وإنما جعلوني كذا يأكلون بي من الترك أو كما قال، فرأيت سيدنا عامر رحمه الله ينظرني مغضباً لما وقع من بركات دعاء الإمام عليه السلام وأولاده فيهم والظواهر مثلها، والبلاد الإمامية يعني مشارقها أقل وارتفعت الأسعار،

وكاد الطعام يعدم في كثير وكان الأمداد في أكثرها من المراتب من شهارة المحروسة بالله، ثم إن عساكر العجم ضجروا وطلبوا ما لا يعتاد حتى لقد اضطربوا مراراً وهموا بقتل باشتهم وأخذوا منه مالاً وأغضبوه، ثم إنه كان في بلاد الحجرية وبلاد المعافر أمير يسمى الأمير علي الشرجبي كان إليه ولاية تلك الجهة وقطع طريق عدن إلى تعز وطريق المخا من طريق موزع، وعظم أمره وقد وجهوا لحربه الأمير محمد الزوم وغيره من ولاة العجم في اليمن فهزمهم

وقتلهم واستفحل أمره حتى قلت المواد على هذا الباشا مع اضطراب العسكر عليه والسنة الشهباء في المشارق وبلاد صنعاء.

وأخبرني الفقيه علي بن محمد الكاتب من أصحاب الأمير صفر وقد صار إلى الإمام [ق/465] عليه السلام أنه كان في بلاد الروم مع الأمير صفر، وأنها وصلت كتب محمد باشا تشكى من حروب اليمن وأن الإمام كاد يستأصله وأن الأمير الشرجبي من خلفه تقطعه وطلب الأمير صفر لاشتهاره في حروب صعدة ونواحي اليمن فأرسلوه وجعلوا له مدينة تعز وبلادها ولاية وبلاد الحجرية، فخرج بمحطة من الروم إلى اليمن وحارب الشرجبي نحواً من سنتين ولزمه صلحاً بعد صلح الإمام عليه السلام في سنة أو سنتين وبقي في حبسهم حتى قتله فضلي باشا.

[أسباب الصلح]

نعم، فتوسط في الخطاب للصلح الأمير علي بن المطهر بن الشويع كان إذذاك في خمر وكذا الأمير شالق مصطفى والأمير محمد بوتج المخيم في السودة، وبلغني أن الإمام عليه السلام هادى المذكورين، وبذل لمن أعان على الصلح وقد شاهدت الجمال تحمل لهم أرزاً مقشوراً كثيراً وسكراً وقشراً من أملاكه سلام الله عليه، وبلغني من كثير من الأصحاب ولم أسمع ذلك من حي السيد صلاح الدين صالح بن عبد الله الغرباني نفع الله به، أنه قال قبل وفاة الإمام عليه السلام قلت للإمام: أراك تبذل الرغائب في الصلح وقد عالجوك فيه مع وصول محمد باشا فلم ترض والآن تطلبه أو كما قال، وقال عليه السلام: الأولى أني رأيت أن أختم عمري بالجهاد وتنغيص دنيا الظالمين، ولما رأيت قد تفاقم وظننت قرب أجلي خفت أن يحدث بي الموت وأمور الإسلام على ما ترى فلا يتمكن أهله من النظر ويحصل في الإسلام ما يحصل، فرأيت المسارعة حتى ينتزح الترك عنا وفرج الله قريب أو كما قال، وحيث ذكرنا الملجي لمحمد باشا من الأسباب لطلب الصلح فلنذكر طرفاً مما كان عليه الإمام عليه السلام من الشدة فإن المشارق وأكثر المغارب ضعفت كما سيأتي إن شاء الله

تعالى، واحتاج الإمام عليه السلام المعاون الكثيرة وقل المدد والتاث إليه كثير من الضعفاء، وله في تفقدهم بنفسه وإيثارهم بما عنده ما يطول كما قال القاضي الأعلم جمال الدين علي بن الحسين المسوري رحمه الله في المرثية الآتية:

إذا قدموا يوماً إليه طعامه .... يقول أما غير له اليوم آكل

ولقد سمعها مني بعض أصحابه فبكى وقال: كان ذلك كذلك.

وأخبرني القاضي الأعلم وجيه الدين المهدي بن سعيد الهبل عافاه الله أنه أخبره حي السيد الفاضل عبد الله بن شرف الدين العاهمي من المدائر أنه وصله في تلك الأيام خط من الإمام عليه السلام بخط يده الكريمة أنه لا يجد غداء من عنده في النجيد وأنه إذا لم يحصل لهم غداء [ق/466] انفضت المراتب وحصل الخلل العام فأقرضنا ما نجد من الطعام أو اقترض لنا، وأعيذك بالله أن تخيب ظني فيك، وأن يعود رسولي من غير شيء فيحصل الخلل العام وأكثر من ذلك، قال ومعي في مدفن ثمرتي كلها أربعين كيلة ثلوثي لا يزيد عن ذلك ولي عول ومن لا يعذرني، فهممت أن أقسمها نصفين فيكون لي نصف، وله عليه السلام نصف، فرأيت ما تشدد في كتابه وأنه إذا لم يحصل شيء انهزم المركز أو كما قال، فقلت وقد غالبت نفسي لأوثرنه على نفسي وأولادي بهذا كله وأكثر ما يكون أبيع المال في النفقة أو أسير بعيالي المغرب، وحملت ذلك كله في الليل ولم أترك شيئاً، وأقسم القاضي عافاه الله أنه أقسم له أن الله فتح علي أبواب الكفاية في تلك السنة ولا نقص عليه حال وأن المال الذي كان غلته في أخرف أربعين كيلة استمرت في كل عام الحاصل منه أربعمائة كيلة فكان ذلك أضعافاً، ثم بعد ذلك غرسها السيد المذكور بناً واكتسب إليها، فكان من أكثر أهل بلده مالاً وأحسنهم حالاً، وكان يقرض الإمام المؤيد بالله رضوان الله عليه حتى لقد كان يسميه مخزاننا فإنه في بعض الشدائد كما سمعت ذلك أرسل إليه بألفي حرف في

ليلة واحدة، وفي أيام عقد الصلح بلغ الإمام أن كثيراً من أهل بلاد الشرف استقبل المعاون فإن الحاجة دعت إليها حتى لقد رأيت

الإمام المؤيد بالله سلام الله عليه يقضي بعض أهل الشرف في أواخر أيامه مما أقرضوا مولانا الحسين رحمه الله في تلك المدة، فأرسل الإمام عليه السلام رسالة تقرأ عليهم [..............].

[ق/469] ثم إن الإمام عليه السلام أرسل السيد الأكرم فخر الدين عبد الله بن شمس الدين بن الحسن الجحافي، وكان من أهل الكمال ومعرفة الخطاب إلى صنعاء لعقد الصلح وتحديد البلاد وتحليف الباشا ففعل، فلما بلغ الإمام عليه السلام ذلك وقد تواعد هو والعجم أن محاطهم ترجع صنعاء ومحاطه ترجع شهارة المحروسة بالله في يوم وأحد وكنا في مرتبة الحمراء من أعمال مرقص فما راعنا إلاوقد عاد العجم كلهم صنعاء وهدموا أملاكهم بأيديهم، والإمام عليه السلام انحدر إلى درب الأمير المعروف بيت القابعي [وكان قد جعل فيه مخازين الأرز ولم يعمر كثيراً] ، واجتمعت إليه المراتب كلها حتى كانت جموعاً هائلة، ثم اشتغل عليه السلام بتمام قواعد الصلح وتحديد البلاد وأطلق من عنده من الأسرى وكانوا فوق أربعمائة؛ لأنه كان قد خرج بعض منهم ومات بعض وهلك في الشام بنظر الشيخ محمد البحش فوق أربعمائة، ولما وصلوا إليه سلام الله عليه أبقاهم حتى وصل الأسرى من صنعاء وهم أصحاب مولانا الحسن رحمه الله ومن بقى ممن لزم أو أسر غيرهم حتى لقد أخرجوا من في البحر من إخوة القاضي العلامة سعيد بن صالح الهبل وغيرهم، ثم كساهم وزودهم إلى السودة، ثم خرجوا صنعاء وهم جماعة منهم علي آغا من كبرائهم وقاسم آغا وإبراهيم آغا، وقرا جمعة آغا، وسا لم كاشف، وجوهر كاشف، والأمير عبد الله بن إسماعيل الداعي من همدان حراز، وكثيرمن

كبرائهم وهادي بن مبارك من كوكبان، ولقد رأيناهم لما اجتمعوا من الحبوس وعليهم بقية أسمال خلقة وقد نضهم التعب والشقا في المهن الدنية ولا يعرف منهم غير الأغوات

فاحتاج مولانا محمد عليه السلام أن يفرق فيهم الكساء والزاد فازدحموا على الكتاب والأعوان، فصاح أحدهم عليه بقية من بساط هاني شاوشية فخرج منهم أربعة أنفار أو خمسة، وأخذوا الأعصى من أيدي الأعوان ونظموهم وقالوا بلق فلان فعدوهم واحداً بعد واحد ولم يزدحم أحد مع أحد، ثم عزموا والأغوات بقوا يومين ثم عزموا بعدهم، وكان اتفق من حي السيد محمد بن صلاح الأعور الأهنومي وناصر ابن أبي خير الأسدي خيانة في عسكر مطهر بن عبد الرحمن وكادوا يفسدون العسكر وهم من سراتهم وكبراء العسكر الإمامي، فاستدركهم مولانا الحسين رضوان الله عليه وقبض عليهما وعلى الشيخ علي بن قاسم المرهبي، فأما المرهبي فقتله العسكر الذين أرادوا إيصاله حصن حميمة سنخدا لأنهم خافوه، وهذان بقيا في الحبس فاتفق [ق/470] أنهما وأصحابهما حرضا كبار المجاهدين من بلاد الأهنوم وبلاد عيال أسد والمذاعير أنهم يشفعون فيهم ويطلقون كما يطلق العدو، فاجتمع الأعيان من المشائخ وكبراء العسكر حتى رآهم الإمام عليه السلام وأحس بهم، فلما رآهم مولانا محمد عليه السلام تلقاهم وسألهم عن المقصود فأخبروه وقد عرف ما في نفس الإمام عليه السلام عليهما فقال لهم:أتروني لكم ناصحاً، فقالوا: بل المالك أو كما قالوا، فقال الإمام عليه السلام داع لكم شاكر لكم راضي جهادكم مثنٍ عليكم فلا تلجوه إلى أحد أمرين، إما أنه لا يجيبكم وتقع في نفسه ونفوسكم أو

يجيبكم وهو كاره فتكونوا قد أحبطتم سعيكم المحمود أو كما قال، ولكن تؤخرون هذا إلى وقت وأنا أقوم به وإذا تقارب الأمر عرفتكم فقالوا: قد رآنا الإمام عليه السلام فلا نعود من غير حديث، ثم قدموا إلى الإمام عليه السلام وقالوا: يا مولانا نراك أطلقت أسارى الترك وأعيانهم وسكت عن ولدك الحسن رضوان الله عليه فيا سبحان الله إذا لم يطلقوه فلا تطلق أصحابهم، فقال لهم عليه السلام وقد تبسم إليهم ودعا لهم: يا سبحان الله أترون أحبس هؤلاء العلوج بالحسن أو كما قال وقد أودعته القادر على إطلاقه أترون أن الكريم من البدوان يضيع وديعته؟ فقالوا: لا، فقال: ثقوا بالله فإن الحسن خروجه على الله سبحانه لا

أطلبه من غيره أو كما قال بإطلاقه ثقة بالله فكان كما سيأتي إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

[رؤيا بشأن الحسن بن الإمام القاسم]

وحيث قد ذكر الحسن رضوان الله عليه ووالده صلوات الله فلأذكر رؤيا رأيتها مرتين في تلك المدة.

الأولى: بعد الهزيمة من قدم وبني حيش، وقد أمسينا في عتاد من بني بلاد الجبر وهي أني رأيت كأن ما بين وادعة وحوث إلى صعدة قاع صفصف وإذا قد طلعت الرايات تقصد جهة صنعاء وتحتها قوم كثير من العرب على أنواعهم وجهاتهم المتفرقة، ثم الهند على لباسهم وراياتهم خضر، وفيهم الترك ثم عبيد بلباس الحبشة، ولهم رايات وخيل مختلفة اللباس وهم يقولون هم تقدمة الإمام الحسن، فقلت لمن رأيته وعرفته وهو القاضي علي بن أحمد بن أبي الرجال وقد رأيته فيهم ولا عرفت غيره من هذا الإمام الحسن، وفهمت أنه الإمام الحسن بن علي بن داود سلام الله عليه فقال: لا هذا سيد من أنصار الإمام وليس بإمام أتعرف السيد قاسم بن نجم الدين من جبل ذري وهو من أهل الفضل قلت: نعم قال: هو في سنه، وسمعتهم يقولون [ق/471] لا يزال حتى يحطوا في النجد الأحمر ولا أعرف النجد الأحمر قبل هذه الرؤيا، وكان ذلك في عام سبع وعشرين وألف، وكان ما سيأتي إن شاء الله تعالى من اجتماع هذه الطوائف تحت راياته رحمه الله تعالى وخروجه من صعدة.

الرؤيا الثانية: وكنت في الحمزي وقد قل الناس ومل أهل الجهاد وفي النفوس كثير من ضيق الحال والخوف على المسلمين حتى لقد عرض وادعة وغيرهم أن الإمام يتأخر من وادعة إلى حوث وهو في النحيد من بلاد المقابلة فصليت في أول الظهر وخفقت على السجادة وأنا مستلق فرأيت رجلاً داخلاً علي من باب المسجد عظيم اللحية يعني جسيمها وهي ممتدة إلى أسفل صدره، لابساً صوفاً ليس عليه عمامة وإنما عليه قلنسوة من صوف أسود وقد

علاه الشيب وعليه هيبة، وفي يده عمودان دقيقان من حديد على مثل الرماح الدقاق طولهما نحو من عشرة أذرع ولم يقع في نفسي شيء منه من الهيبة لأجل الأنس منه، ثم خلفه رجل على مثل صورته ولباسه إلا أنه أقصر منه قامة، وليس في يده شيء من الحديد، وكأنه خادم للأول فاستحييت من سؤال الأول من هو فسألت الآخر؟ فقال: هذا هو الإمام الهادي إلى الحق يعني يحيى بن الحسين صلوات الله عليه فوقف الأول حتى كانت قدماه حذاء خدي، وقال: أنا الإمام الهادي أو قال جدك الهادي –السهو مني– فجعلت فمي على قدمه، وقلت: يا مولانا أليس معنا إمام ولا يصح إمامان في مذهبك؟ فقال عليه السلام: أنا مغير على الإمام القاسم الذي في وادعة فقلت لعله القاسم بن جعفر رحمة الله عليه فقلت: الإمام القاسم بن جعفر، فقال الإمام القاسم بن محمد إنما هو ولدي وهذا الحديد أضرب به أعداءه يا صرارتاه، ويا عمراناه، ويا صنعاتاه، ويا يمناه بهذا اللفظ فاستيقظت وقد استبشرت فما عقب ذلك إلا الصلح، وأخربوا محاطهم بأيديهم، وقد كانوا عمروها وغرسوا فيها الغروس كما بلغ. والله أعلم.

وبعد طلوع الإمام عليه السلام شهارة المحروسة بالله بنحو عشرة أيام أو أكثر وصل مولانا الإمام الحسين رضوان الله عليه من الظفير وقد اجتمع معه عسكره وكانوا مع أهل الظفير ومن سار بسيرته نحو ألفين بالسلاح الحسن والهيئة التي قل مثلها في ذلك الزمن، وكان لوصوله بتلك الهيئة الشأن العظيم، والذكر الفخيم الذي شرح صدور المؤمنين وأوغر قلوب المعاندين، ووصلهم الإمام عليه السلام بالصلات الواسعة، والحمد لله رب العالمين.
وقبل عقد االصلح وإقبال الجدب على المشارق طلع النجم ذو الذنب [ق/472] المشهور وصفته أنه طلع نجم مع الفجر له رأس كالسنان المرتفع، وله نور يطلع قبله، ثم لا زال يطلع حتى انتهى إلى نحو ثلث السماء أو يزيد وهو يطلع قبل الفجر نوره في كل يوم حتى انتهى إلى ما ذكرناه، ثم طلع بعد أيام نجم أصغر منه من فوقه وطال نوره نحو اً من منزله وأقل

وبقيت هذه النجوم آية يشهدها العالم، وسئل الإمام عليه السلام وكان من جوابه مما رأيت بخط يده الكريمة أنه ذكر ما هذا مثاله:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ذكر في كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر المهدي عليه السلام) من نسخة قديمة قال في آخرها: تم الكتاب بحمد الله ومنه وحسن توفيقه بالقاهرة المغربية وذكر كاتبها إلى أن قال: بتأريخ يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة أربع وعشرين وسبعمائة عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما قال: لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية. قال: أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسيين البيهقي وقال في هذا الكتاب: وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: إذا بلغ العباسي خراسان طلع بالمشرق القرن ذو السنين وكان أول ما طلع هلاك قوم نوح حين أغرقهم الله وطلع في زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقوه في النار، وأهلك الله النمرود بن كنعان وحين أهلك الله تعالى فرعون ومن معه، وحين قتل يحيى بن زكريا عليه السلام وسلط الله على قاتله بخت نصر، قال: فإذا رأيتم ذلك فاستعيذوا بالله من الفتن، وذكر في سياق طلوعه كسوف الشمس والقمر، قال: ثم لا يلبثون حتى يخرج الأبقع بمصر، قال: أخرجه أبو عبيد نعيم بن حماد... تم ذلك.

وكان قد ضعف أهل وادعة من الجدب وخاف الفضلاء على الإمام عليه السلام وعرضوا عليه الخروج إلى حوث كما تقدم فلم ير ذلك، وسمعت في تلك الأيام من غير واحد أنه خرج ليلة يتفقد المساكين على عادته فسمع طائراً يصوت فقال: معنا في هذه الليلة غدر أو نحو هذه الكلمة، ثم أخذ يفتش مواضع حتى وجد تحت مرقده عليه السلام باروتاً كثيراً قد دسه العجم وشياطين العرب على أنه يحرقونه في الليل فأخذه إلى المخزان وأمر بعمارة الموضع وجعل بابه إلى البيت الذي هو فيه، فرأيت الباب معموراً وكنت أعرفه مفتوحاً.

وأخبرني السيد الفاضل قاسم بن حمزة الغرباني أطال الله بقاه أن هذا التفتيش من الإمام عليه السلام [تورية فأنه أخبره من أبدت اسمه] وكان يختلف إلى حي الأمير [ق/473] علي بن المطهر بن شويع الحمزي فقال إنه طلبه أمير الأتراك المسمى شالق مصطفى وقال له: هذا الإمام لا نقدر على حربه ولكن قد فعلنا من يحرقه في هذه الليلة بالباروت ونعتقد في الأمير أنه يحبهم في الباطن، قال: فأجابه الأمير بأن هذا الصواب وأظهر الفرح، ولما خرج من عند الأمير طلب هذا الراوي وقال: هل فيك خير؟ قال: نعم، قال تسير هذه الساعة وقد كان وجه ليل إلى الإمام فما تدرك منه إلا ما قدرت عليه وأخبره بمقالة الأمير فأغار مسرعاً فوصل والإمام عليه السلام في بقية أعمال فاستدعاه من عند أصحابه وأخبره، قال: فأخبره أن الإمام عليه السلام عرف ذلك فلم يستقم حتى يخبره بتمام الخبر، بل خرج موضع آخر وأمر بالمحراس، وكان ما كان من أخذ الباروت، وكان الإمام عليه السلام أمر قبل عوده من وادعة بالإستسقاء فلما حضرت الصلاة هم بالخروج، ثم رجع وأمر السيد صالح بن عبد الله نفع الله به فحصل مطر غزير في البلد التي كانت فيها الصلاة والإستسقاء، وبلغنا أنهم سألوا الإمام لم لا تحضر وقد هممت بالخروج؟ فقال: خشيت على الناس أنه إذا لم يحصل المطر يقنطون لما قد خالطهم من الشدة وإن مطروا غلوا ووقعوا في أمر عظيم من القنوط أو كما قال صلوات الله عليه، وكان قد عدم الماء في شهارة حتى في بركة الجامع المقدس مما أخبرني بعض الدرسة في الجامع أنه لم يجد ما يسقي به الدَّواه وإنما سار إلى الناصرة يطلب من

هناك وعظم ذلك، ثم إنها وصلت كتب من السيد الزاهد العلامة شيخ العترة الحسن بن شرف الدين رضوان الله عليه يقول للإمام: بادر بالوصول عسى نمطر ونسقى ببركاتك ثم أكثر من ذلك فعزم الإمام عليه السلام على الإرتحال وكانت طريقه سوق الثلاثاء من أعمال المسارحة بعد صلاة الجمعة في شهر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وألف[إبريل1619م].

قال السيد الفاضل العلامة محمد بن الحسن بن شرف الدين: رأيته عليه السلام في المصلى يقبض من الطين وينظر فيه وطول عهده بالجدب فرأيته يدعو ويحرك شفتيه وهو يقلبه بيده، وكان العسكر فيما أحسب ثلاثة آلاف أو أكثر من غير أهل البلاد ومن وفد من غيرهم من آنس وبلاد حراز، وبلاد الشاحذية للأسباب الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى، فلما حاذى شرفة المواطر وقد تقدم إلى المسارحة مولانا محمد عليه السلام يهيئ أماكن وما يحتاج إليه الإمام عليه السلام والعسكر، وأقبل مطر ما قد عهد في تلك السنة حتى لقد ألجأنا وكنا بالقرب من الإمام عليه السلام إلى سقاة كبيرة أظن درجها [ق/474] يجاوز العشرين الدرجة كانت متعطلة فامتلأت وبقينا بين الماء، والإمام عليه السلام قد لجأ إلى الجبل ولا أدري فيما اكتن من المطر، فلما ارتفع المطر وإذا هو لم يتجاوز الحازة ولم يصل شهارة ولا غيرها، ثم في اليوم الثاني تقدم مولانا محمد إلى نجد بني حمزة ولما انحدر الإمام عليه السلام من قرية المسارحة وصار في آخر العسكر وإذا بقائل يقول: هذا سيدنا عبد الرحمن المنتصر العشبي وصل من كوكبان، وكان من الأسرى هناك فنزل الإمام عليه السلام ونزل الفقيه وهو على بغل من أهل

كوكبان أعطوه إياه ليركبه مع عزمه ويعود عليه هادي بن مبارك قائد عسكره، ولما رأى الإمام عليه السلام عينه قد ذهبت بكى ودمعت عينيه، فبكى الفقيه وترامى على قدميه وهو يدعو له، والفقيه يقول: قليل ذلك في محبتكم أهل البيت، ولما وصل عليه السلام شهارة المحروسة بالله وقد لبس ثوباً من شواذر الشرف وفرد قميص من بز الشرف وعمامة (من بز الشرف) أيضاً وعباءة منكساً متواضعاً وقد تلقاه الشيوخ من أهل شهارة مثل السيد الفاضل العلامة الحسن بن شرف الدين، وسيدنا العلامة عامر بن محمد رضوان الله عليهم وغيرهما من الشيوخ والصغار، وفي أول العسكر مولانا محمد عليه السلام وأمراء العسكر، وكان يوماً مشهوداً، وشريت القرية الماء بفوق سبعة كبار مما يأتي به السقاة من الغيول الخارجة عن شهارة المحروسة بالله، وكان الإمام عليه السلام خرج من شهارة إلى

عيان وبعض الجامع لم يتم تنضيد الحجارة في الشمسي، ومطاهير الجامع لم تكن كما هي الآن بل كانت دون ذلك وسقوفها خشباً وتولى تمام ذلك الفقيه الفاضل عماد الدين يحيى بن محمد بن حنش وكان يحضر معه سيدنا عامر رحمه الله فتم ذلك على أحسن حال، وكانت طريقه صلوات الله عليه الجامع فصلى فيه ركعتين وأغلقت الأبواب عليه وعلى من معه في الجامع، وكنت شاهد ذلك، ثم طاف فرأى الصرح موافقاً فدعا للفقيه يحيى كثيراً، ثم نزل البركة ورأى كذلك ولا فيها قطرة من ماء فرأيته سلام الله عليه تغير وجهه حتى هبته وكذا غيري، وعاد مسرعاً إلى قبلة الجامع والدموع تسيل على خده الشريف، واستقبل القبلة ودعا بما شاء الله ونحن صفوف نؤمن على دعائه، ثم

خرج من الباب الشرقي وصعد داره السعيد، ومعه الفضلاء وصغار أولاده، وأولاد أولاده، ومولانا محمد عليه السلام والسادة أمراء العسكر في الميدان يرصدون العسكر وينظمون لهم [ق/475] مواضع وإذا الهاتف بالأصوات المرتفعة يقول لكم الإمام عليه السلام: بادروا بالخيام وأخرجوا مضرباً وخياماً غيره، ثم شرعوا يصرفونها والهاتف من الإمام بادروا قبل المطر فما كان أقرب من حدوث غيث هني، فلجأ العسكر إلى الجامع ومنازل الدرسة والمطاهير والمساجد فلم يصل الظهر إلا في المطاهير السافلات، ثم تتابع المطر حتى صلينا العصر في الواسطات، ثم ما صلينا العشاء الآخرة إلا والمطر في أعلى البركة ويفيض منها وقد عم المطر شهارة وما حولها، وكان يتردد المطر الغزير من دعائه عليه السلام سبع مرات مما عددته وغيري والحمد لله رب العالمين.

[المناطق التي شملها الصلح التابعة للإمام القاسم]

فصل: ولنذكر البلاد التي وقع الصلح عليها: غربان، وعشم المسيجد وبني مالك من وادعة وبني عتمة وادعة وبلاد بني قيس وبني صريم، ثم مرهبة والصيد وبني جبر وبلاد بني زهير إلى حدود بني جرموز وإلى حدود بلاد نهم وما وراءها إلى جهة المشرق والشام جميعاً وجهات شظب المقعد وما إليه، والموسم وما بعده من بني موهب والجبر من شظب وما وراءه من

بلاد عفار هجرة وكية فقط، وجبل نيسا والظفير وما وراءهما من بني جديلة وبني حمار والشرفين، وغير ذلك.

وأما جهات الحيمة فمن بني مطر بلاد الثلث والحدب وبني سوار جميعه والأيازل فإن للعجم بني سليمان أجمع وما وراه وبني السياغ العارضة إلى الإمام عليه السلام مع الحيمة، وأعلى بني السياغ للعجم والأجبوب كله إلا المسانية أصحاب الشيخ علي المنامة، وبني النمري جميعاً إلا ردمان للإمام عليه السلام، والحيمة والحجرة وعانز للإمام عليه السلام.

وأما حراز فحصبان وحلفاهم الشافعية مثل جبل بني إسماعيل وبني حسن وبني سعد إلى الإمام عليه السلام وحصن مسار وبلاده إلى الإمام عليه السلام وبلاد الثلث ومن إليهم.

[الإمام يشكو لمحمد باشا لمخالفات حدثت بعد الصلح]

وأما جهات آنس فإن السيد الشهيد الهادي بن علي الشامي رحمه الله دخلها من بني أسعد الأيام القريبة من عقد الصلح ثم تقدم هو والشيخ علي بن دهاق الدريدي وبنو الرؤية فأخبرهم الشيخ ناصر بن راجح وآغا من الترك وهزموهما في قاع آنس، وقتلوا من أصحابهما جماعة، وتقدما إلى الجمعة، فتقدم عليهم الأمير جعفر من العجم عن مشورة مشائخ آنس لأنهم خافوا أن تكون هذه البلاد في الصلح فلا يقدرون على هضم رعاياهم وطلبهم الأموال فهزموا [ق/476] السيد بعد أن أروه شدة واجتمعوا عليه، ثم اختل بني رؤية مع الشيخ ناصر بن راجح واستقام السيد الهادي في القارة وهو مضاهر لبني أسعد وبلاد الحجرة، وانعقد الصلح وهو هناك، وكان حي سيدنا العلامة الزاهد عز الدين بن محمد بن عبد الله الغشم نفع الله به مهاجراً في تلك البلد معيناً للسيد الهادي فقال: استقيموا وأنا أذهب إلى الإمام عليه السلام أعرفه أن بني قشيب لم يدخلوها إلا وقد عقد الصلح، ولما سار لحقه جماعة من بني أسعد لمثل ذلك، ودارت المكاتبة بين الإمام عليه السلام وبين الباشا في شأنهم وكان رأي الباشا المسامحة وإنما التحريض من مشائخ آنس لما سبق ولئلا يكون هؤلاء في نعمة وهم في ضدها، ثم إن الشيخ ناصر بن راجح ومن ذكر

اختدعوا ابن الشيخ علي الدريدي على أنه يطلع صنعاء يكون شيخاً على قبيلته ورغبوه وضمنوا عليه ويقال: إن مع أهل الوسط في ذلك جعلاً، فلما وصل صنعاء كتب أهل الصلح والسيد عبد الله بن شمس الدين أن هذا الدريدي وصل فحذفوهم من كتاب الصلح ومع ذلك بادروا بالغزو

لبلاد بني أسعد فقتلوا منهم جماعة ونهبوهم واستولوا عليهم، وصاروا إلى الشيخ ناصر بن راجح وولده الشيخ مجلي، وعرف الإمام عليه السلام ذلك، ووصل بنوا أسعد شكاة إليه وعرف المصلحة العامة بالتستر بالصلح وكذا بنوا البدي من أسفال الشاحذية من جبل تيس كان عندهم الشيخ محمد بن صلاح البحش رحمه الله استدعوه فحفظ بلادهم وغزوا إليها مراراً وهو يردهم في أيام الخطاب ليدخلوا في الصلح، فلما كان منهم قضية بني أسعد ومع أهل كوكبان في بني البدي فأخذوهم أيضاً، وقالوا ذلك قبل عقد الصلح، وذلك بعد انعقاده بشهرين أو أكثر، والإمام عليه السلام ينظر في الأنفع للمسلمين ويكتب إلى الباشا محمد كما رأيت مسودة في بعضها بخط يده الكريمة ما لفظه: وبعد فإن هذا الصلح الذي شملت به نعم الله الأمة المحمدية وعمتهم بركته فإنها لو زالت الجبال الرواسي لم تحل منه عقدة ولا يزداد إن شاء الله على مر الليالي إلا جدة، وإذا وقع من طالبي الفتنة ما يغير علينا راجعنا صاحب الحل والعقد الكامل في السياسة الخاقانية الوزير الأعظم محمد باشا أدام الله له السعادة، وأرغم أعداءه وحساده، هذا وليعلم صاحب السعادة أن عنوان ما انطوى عليه هذا [ق/477] الصلح الميمون الذي هو بكل خير إن شاء الله مقرون، في صريح ألفاظكم الشريفة وعليه خاتمكم الكريم هو عندنا مشرفاً ومكرماً، قاطعون بأن لا تحل له عقدة ولا يزداد من لديكم مع مر الليالي والأيام إلا قوة، ولفظه: وما هو إلى جانب الإمام القاسم الذي يده مستقرة عليه وأصحابه فيه وتقرر تصرفه عليه، وذكر دام عزه عدة من الحدود والأطراف، فعرفنا وسكنت

نفوسنا أن ذلك كلام وكيل السلطان الأعظم -عز نصره- ومدبر مملكته وأنه لا يعتري ما وقع اختلاف، وكان في هذه الأيام من طالبي الفتنة اتباعاً لأهوائه أنه وقع منه تعدٍ في الحدود، وهذا الأمير علي بن شمس الدين غزا [هو] أصحابه بني البدي وقتل منهم قرابة الفقيه العابد الطارح للدنيا وأهلها محمد بن جابر، وأخذ عليهم ستين رأساً من البقر وهم منا وكان عند عقد الصلح والفقيه صلاح البريشي عندهم ومشائخهم هربوا من كوكبان قبل عقد الصلح في المحرم غرة سنة ثمان وعشرين وألف، وفرحان الكاشف قبض رجلاً من بيت مران، وبيت مران ومعازبية التي هي قريبة منه وبيت مران، هذا هو إلينا وتصرفنا فيه على سبيل الإستمرار يعرف ذلك كل أحد، وكذلك بنو أسعد في آنس أيدينا ثابتة عليهم وعاملنا يتصرف عليهم على سبيل الإستمرار، يعلم ذلك الخاص والعام وحاشا نائب السلطان الأعظم ومدبر ملكه أن يكون فيما وضعه أدنى خلل ولو استقصينا وقلنا وادي الشجر إلينا وحقبة إلى السلطان وحسمة إلينا، والشراعب وشوابة إلى السلطنة ثم كذلك لطال الشرح، هذا حيث كان العذر أن هذه الحدود لم تذكر في المسودة وقد سهلها الألفاظ الجامعة، ثم إن جماعة لدينا من جبر حجة أرادوا أن يتصلوا بأموالهم ويسلموا ما هو مقرر عليهم للسلطنة حسب الأغرام من جملة أصحابهم، فمنعهم الشيخ هادي الورد المعروف بالدش، وأخذ ما كان معهم في هذه الشديدة من العنب ومنعهم بالكلية هذه الأمور، وحيث أنهاها إلى مسامعكم الشريفة صيانة للقواعد الأكيدة. انتهى بلفظه وحروفه. وتوفي صلوات الله عليه، واشتغل الناس بوفاته، ثم بالشدة الشديدة عن ذلك.

[دعوة السيد ناصر بن محمد صبح القاسمي]

ذكر ما كان من دعوة السيد ناصر بن محمد صبح القاسمي الغرباني عافاه الله في تلك المدة وما كان في صعدة في تلك الأيام، فإن السيد المذكور يقال أنه سأل الإمام عليه السلام عن الصلح فأخبره بالمصلحة وإنما هذا الصلح [ق/478] لاستقالة المسلمين وانتظار فرج من الله سبحانه وإلا فقد نقضه الترك بما فعلوه في بني أسعد وبني البدي، وقد تصور في

نفسه أنه المهدي المنتظر ولاح له لوائح، وأمال فانسل إلى ذيبين ثم الحيمة، وأظهر أمره على القاضي يحيى بن أحمد المخلافي وهو والي أكثرها، ثم إن الإمام عليه السلام غضب وكتب رسائل توضح أنه خالفه ولم يكن ما هو عليه عن رأيه وأنه عاص باغٍ.

[رسائل الإمام لأهل الحيمة ببطلان دعوة ناصر بن محمد صبح]

(ومن الرسائل التي أرسلها الإمام عليه السلام في أمره في شهر محرم سنة تسع وعشرين وألف قبل وفاته عليه السلام بنحو شهرين أرسل بها إلى نواحي الحيمة من محروس شهارة محذراً ومعرفاً للناس ببطلان دعوى السيد المذكور بأنه المهدي المدعو به في آخر الزمان، وأن من أجابه فقد عصاه.قال عليه السلام:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، المنصور بالله -إن شاء الله- كتابنا هذا إلى من وقف عليه من المسلمين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اعلموا رحمكم الله أن الإمام المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه يخرج في آخر الزمان، لزمانه علامات منها: ما رواه محمد بن علي بن أبي طالب أخو الحسن والحسين بني علي عليه السلام المعروف بابن الحنفية، قال: تخرج في آخر الزمان راية من خراسان، ثم تخرج أخرى ثيابهم بيض على مقدمتهم رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيجتمعان بباب اصطخر فتكون بينهما ملحمة عظيمة، وتنظر الرايات السود، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي، وفي رواية أخرى: يبعث السفياني خيله ورجله وجنوده فيبلغ غاية المشرق من أرض خراسان وأهل فارس، فيثور بهم المشرق ويقتلونهم ويكون منهم وقعات في غير موضع فإذا طال قتالهم بايعوا رجلاً من بني هاشم وهو يومئذ في آخر الشرق فيخرج بأهل خراسان على مقدمتهم رجلين من تميم مولاهم أصفر اللون، قليل اللحية، يخرج إليهم في خمسة آلاف فإذا بلغه خروجه بايعه فيسير على مقدمته لو استقبلته الجبال لهدمها، فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم، ويقتل منهم مقتلة عظيمة فلا يزال يخرجهم من بلد إلى بلد حتى يهزمهم إلى العراق، ثم تكون بينه وبين خيل

السفياني وقعة، ثم تكون الغلبة للسفياني فيهزمهم فيقتل منهم مقتلة عظيمة ويخرج الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح [ق/479] مختفياً إلى بيت المقدس يطوي للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام.

وعن بعض أهل العلم قال: بلغني أن هذا الهاشمي أخو المهدي لأمه، وقال بعضهم: هو ابن عمه لا يموت يعني من الجراحة ولكن بعد الهزيمة يخرج إلى مكة فإذا ظهر المهدي خرج معه، وعن علي بن أبي طالب قال:يخرج قبل المهدي رجل من أهل بيت المهدي يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس، وعن عبد الله بن مسعود قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إلينا مستبشراً نعرف السرور في وجهه فلما سألنا عن شيء إلا أخبرنا به ولا سكتنا إلا ابتدأنا حتى مرت فئة من بني هاشم فيهم الحسن والحسين عليهما السلام، فلما رآهم عمر هم وانهملت عيناه فقلنا: يا رسول الله ما لنا نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال: ((إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً في البلاد وتشريداً حتى ترتفع رايات سود من المشرق فيسألون الحق فلا يعطونه ثم يسألونه فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فمن أدركه منكم أو من بعدكم فليأت إمام أهل بيتي ولوحبواً على الثلج فإنها رايات هدى يرفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)).

وعن جابر بن سعيد الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى أمارات أذكرها لك إن أدركتها، أولها: اختلاف بني العباس وما أراك تدركها، ويكون حدث بعدي وينادي منادٍ من السماء ويحكم الصوت من ناحية دمشق ويخسف بقرية من قرى الشام تسمى الجائفة، وتسقط طالعة من جانب مسجد دمشق الأيمن ومارقة تمرق من الترك وبعضها هرج الروم وينزل الترك في الجزيرة وينزل الروم الرملة فتلك السنة فيها اختلاف كثير في كل أرض، وتختلف في الشام ثلاث رايات راية

الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني ومن معه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يبقى لهم هم إلا الفرار نحو العراق، وتمر جيوشه بقرقيسيا فيقتلون بها، فيقتل من الجبارين سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً، فبيناهم كذلك إذ أقبلت رايات خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً وهم من أصحاب المهدي فيخرج رجل من موالي أهل الكوفة في صفها فيقتله أمير جيش السفياني بالبيداء فينادي [ق/480] منادٍ من السماء يا بيداء أبيدي القوم فيخسف بهم فلا يفوت منهم إلا ثلاثون نفراً يحول الله وجوهم إلى أقفيتهم وهم من كلب، قال: فيجمع الله للمهدي أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً يجمعهم الله على ميعاد قزعاً كقزع السحاب فيبايعونه بين الركن والمقام، قال: والمهدي يا جابر من ولد الحسين.

إذا عرفتم ذلك فالشريف ناصر صبح ليس من ولد الحسين عليه السلام وإنما هو من ولد الحسن وليس اسمه محمداً ولا أبوه عبد الله، وإنما هو ناصر بن محمد صبح من ذرية الشريف مكنى حسني النسب، وهذه العلامات التي قدمنا تظهر قبل خروج المهدي لا قد رأين ولا سمعنا منها بشيء، وناصر صبح ما دعا بين الركن ومقام إبراهيم عليه السلام وإنما خلع ربقة الإسلام من عنقه في مخالفته لإمام زمانه كما ورد ذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخالف ما أنزل الله حيث يقول: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً}، لأن الصلح أنفذ وهو معنا وفي جوازنا، فالصلح شامل له ولجميع من دخل من المسلمين في جانبنا، وهذا من الكبائر وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يؤتم بمثله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يؤمنكم ذو جرأة في دينه)) ومنها أن بعض المسلمين يترافع إليه هو وبعض اليهود ليقضي بينهما بما أنزل الله فأوجب الشريف ناصر هذا على المسلم البينة فأتاه بجماعة من المسلمين فقال: زد على هؤلاء الشهود غيرهم فأتاه بغيرهم، فقال: لا تطالب فقد اشتريت المال الذي تنازعتما فيه وهذا حيف وظلم عظيم فكيف يكون هذا من أئمة المسلمين، وهذا القصة اتفقت سنة سبع وعشرين وألف وليست ببعيد،

ومما قد أخبر جماعة من المسلمين أنه إذا لاح له شيء من أموال المسلمين وثب عليه وثوب ذئب قرم لا من ذلك حياء من الله ولا حياء من مخلوق، وله أعمال غير صالحة، رحم الله امرءاً خالف هواه واتقى ربه، وأصاب الله من كان صبح إمامه وأصاب من اتبع هذا الضال، والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته، بتأريخ شهر محرم الحرام سنة سبع وعشرين وألف) .

ثم أرسل إلى القاضي (يحيى بن أحمد المخلافي) خادمه سيلان الظفاري فلما وصل إلى القاضي وكان إذ ذاك في العر من الحيمة أمر معه جماعة من المخلاف على أنهم يضيفونه ويكون هنالك حتى يلحق به، ثم أمر الرتبة في يناع أن يطلعوهم للضيافة فإذا دخل الحصن حبسوه، فلما فعلوا وصار في الحبس طلع [ق/481] رسول الإمام عليه السلام فقيده في الحصن، وبقي في الحبس أياماً يسيرة واحتاج القاضي ذلك الدار لطعام يدخله إليه، ونقله إلى مكان قريب من الحيد فكسر القيد وهرب إلى بيت عجل من بني السياغ فالتفت إليه كثير من الناس وكان يؤثر واعتقد فيه كثيرون لأجل هربه من الحبس، وسألت أصحاب القاضي فقالوا: إنه رأى القيد اكتسر حال ضربه فستره، فكان سهلاً لأجل ذلك ولا بد من نأتي من أخباره بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

وأما مولانا أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله فإنه حفظ الشام وظهر نفعه ثم إنه اتفق من آل عمار تعدٍ في الطريق ونهبوا قوافل وقطعوا الطريق، وممن نهبوا سيدنا القاضي العلامة سعد الدين بن الحسين المسوري رحمه الله وكان منظوراً محبباً إلى الناس مع حدة مفرطة فيه وقوة غضب لله، فوصل صعدة وتكلم على مولانا أحمد وقال كثيراً من ذلك حتى أغضبه فأرسل لمشائخ آل عمار وكانوا ثلاثة عشر شيخاً وسألهم عن القضية فما أجابوه إلا بما عرف به تمردهم فأشار عليه من حضر من العلماء بقتلهم فقتلهم في الليل، ثم تابع المغازي عليهم، ولما بلغ الإمام عليه السلام قام وقعد وخطأه وخطأ من عنده من العلماء لما صوبوا فعله فأجابوه جواباً واحداً: إن هذا هو الذي يجب عليك وعليه وكذا، وما أراد الإمام عليه

السلام إلا تأليف القبائل لا يخرجون إلى غير الحق، وصلح بعدها أمر الشام وإنما بقي الطريق فإن الإمام المؤيد بالله سلام الله عليه لا زال أكثر من سنة يرسل مع القافلة الداخلة إلى صعدة عسكراً إلى نصف العمشية ويلقاهم مثلهم من صعدة من يسير مع القافلة إلى صعدة وكذا من خرج من صعدة لقاه من عند الإمام لسبب هذه القضية، ثم إنه تمكن وغزا شرقاً وغرباً حتى صلحت البلاد والطرقات وكان يقال في مواضع من المخاوف للتاجر: ما على جملك؟ فيقول: أحمد، وعمرت صعدة وبلادها ومساجدها، وانتشر العلم الشريف وحصلت النفقات للمساكين مع الشدة الآتية فإنها أمور هائلة كما سيأتي في أخبار شهارة حرسها الله فإن الإمام عليه السلام استقر في شهارة بقية من شهر جمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان، وشوال،

والقعدة، والمحرم فالتاث بشهارة المحروسة بالله من ضعفاء المسلمين على طبقاتهم ما يجل عن الوصف منهم طبقات العلماء والفضلاء لم يبق لهم مكان للعلم وما يقوم بهم غير شهارة من الشدة الشديدة، ثم درسة [ق/482] القرآن والمتعلقين حتى لقد أحصى أهل المكتب [ألف ومائتين] نفس وأهل طلب العلم فوق الثمانمائة، وبلغ الصرف للحريم في مكان منفرد وقد عمر الإمام عليه السلام لهن مكاناً على باب فوق الألف، وجعل المراضع منهن في جانب، وبلغ عدد المساكين فوق الألف الذي خارج باب النصر ولهم كهوف يسكنون فيها وفي باب الفتوح فوق أربعمائة نفس، وفي باب الصلل فوق المائتين من غير من في شوارع الحصن ويصرف لهم الطعام من المطبخ من غير الجنود وأهل الحقوق، ولقد رأيت الشيخ صالح بن محمد حمران وجماعة من أصحابه لم يوجد لهم مكان يأوون إليه وأكلوا في جملة عامة الناس في الديوان وهو عليه السلام يتفقد المسلمين بنفسه (وبولده مولانا محمد عليه السلام)، ومما بلغ من شدة شفقته بالمسلمين وإن كانت فيه صلوات الله عليه صفة لا زمة أنه أجرى للمراضع طعاماً حالياً من بيوته الطاهرة، وبيوت أولاده لكل واحدة كفايتها من غير قوتهن العام الفائض فإني ممن ولي صرف شيء من ذلك فأشهد لا رأيت ميتاً ولا

مريضاً ولم يكن عند رأسه الطعام على أنواعه من لحيح ومكافاً وطعام ودقيق وزبيب فضلاً عن الحي، ومما رأى من ذلك أن أهل التمييز والتقشف في الطهارة استقوا من مساهم في المطاهير حق الجامع والمجالس وأبواب البيوت وما يكون هناك من الأذى فاستأذنوا مولانا محمداً عليه السلام في إخراجهم إلى عند الخارجين

وهو باب النصر ففعلوا، فلما كان الليل لم يسمع لهم الإمام عليه السلام حساً فسأل فقالوا: أخرجوا العشي، فقام بنفسه وغضب حتى هم بقتل بعضهم، ولام مولانا محمد عليه السلام حتى أنه توارى منه حياء وخوفاً ثم أمر بفتح الباب وعودهم.
ومما سمعت من حي سيدنا عماد الدين يحيى بن صلاح الثلائي رحمه الله وقد خرج من عنده عليه السلام واجتمعنا للغداء في بعض بيوت الأصحاب فإذا هو يكثر من التبسم والدعاء للإمام عليه السلام وكذا ويقسم لا كان ولا يكون فسألناه عن ذلك، فقال: كنت الساعة عند الإمام عليه السلام فدخل عليه جماعة من الأصحاب وولده مولانا محمد عليه السلام وذكروا أن الطعام قد قل وأن خير المغارب قد قرب فما ترى في زاد هؤلاء الذين قد ملأوا الحصن وأشقوا عليه وعلى أهله وكذا ويزودن ما يبلغهم، قال: فغضب، وقال: اقصروا والله ما نقطع المغرفة ومثلها صبغ لو لم يكن إلا زبدي واحد أو كما قال، ولقد
[ق/483] رأيته عليه السلام في تلك الأيام وقد رأى شريفاً من الجوف وله ولدان صغيران لعلهما خماسين وإنهما توأمان قد محل لحمهما ويبس جلدهما من الضعف وهما مع أبيهما وكان قدم بهما فنزل عليه السلام حتى احتمل أحدهما وبعض الأعوان الآخر وأدخلهما داره، فأخبرني من شهد ذلك وهو الوالد جمال الدين علي بن المهدي أنه قال: أطعمهما بيده وشوى لهما لحماً ولا أرى دمعته سكنت، ورأيته لبُنيَّة مريضة وهو يتعاهدها بأنواع الطعام، وكان ذلك بعد عيد عرفة ويكسوها وإذا لم يجد الطريق لكثرة الناس فتح الكوة الشرقيه عليها حتى يرى من يخصها بذلك حتى وجد لها في بيته الشريف مأوى وأدخلها

وغير ذلك كما قال القاضي العلامة جمال الدين علي بن الحسين المسوري رحمه الله في المرثية الآتية:

أب كان للأيتام يحنو عليهم .... فمالهم إلا هو كاف وكافل

يفيض عليهم غيث سحب نواله .... وما هو عنهم ما تقلب غافل

وحيث ذكرنا ذلك فلنتبرك بذكر اليسير من شرائف خلاله في السخاء الذي يضرب به المثل والشفقة بضعفاء المسلمين والصبر على القيام بحقوقهم التي لا تجب عليه وفعلها ولم يقدر عليها غيره، وهذا لا يفتقر إلى بيان، منها: أحواله عليه السلام في العيدين أنه يعطي أهل العوائد الكساء الكثير والمصاريف الواسعة والغنم والبقر ، ثم إذا فرغ من ذلك تقدم إلى باب النصر وأمر بالعقائر الكثيرة نحو الأربعين الرأس على قدر ما يعرف من كثرة المساكين وقدهم يصلون لها من المواضع البعيدة فيكون بالباب ولكل نفس [صاع من طعام] صاع أو نصفه من لحم على عدد النفوس حتى يفرغ منهم، وقد يعد مخازين مملوة كساء مخيطاً للصغار مما يجتمع له من النذور وتأتي مخيطة وقد يشتري إلى فوقها حتى تكون كثيرة، ثم يأمر بالصغار من الذكور والإناث إلى بيوته الطاهرة ويقعد على مرتفع والحمالون يقربون له ذلك على أنواعه فيكسي الصغير قميصاً وكوفية، ومن هو أكبر منه يزيده عمامة كلها مخيطة كاملة حتى أزرتها وجيوبها، ثم يجعل غالباً بيده الطاهرة إلى جيوبهم بعد أن يلبسوها التمر والزبيب فيخرج الصغير فارحاً، وللبنات لباساً وقميصاً وعلى رأسها خماراً صغيراً من أجناس لكل على قدره، وكذلك فقد يكملون في يومين وقد يحتاج يتفرغ لهم ثلاثة أيام وربما وهذه قبل أن يعطيهم شركة العيد وما إليها كما تقدم ويكسو

أصحابه وأهاليهم وقد يعطي الرجل على ما يقول [ق/484] إن في بيته من يحتاج، وهذا دأبه في سائر الأيام بحيث أنه يعطي حتى لا يجد شيئاً وقد لا يجد فيعوزه ذو الحاجة فيتداراه ليبقى وقد يقول لبعضهم: انتظر يومك هذا فنصيبك ما حصل فيه فقد يحصل للنفر

الواحد ما يجل ويعظم، وقد سمعنا ذلك مما أخبرني سيدنا الفقيه العدل عماد الدين يحيى بن صلاح الثلائي رحمه الله قال: كان حي السيد العلامة الفاضل جمال الدين علي بن صلاح العبالي رحمه الله كثير الشفقة على الضعفاء فكثيراً ما يطلب لهم ويلتاثون به، وكان الإمام عليه السلام يتلذذ بذلك منه حتى أنه سأله لفقراء من الأشراف وغيرهم، فقال الإمام: لا أجد، ثم ذهب السيد وعاد وقال فأجابه الإمام عليه السلام كذلك وأظنه قال عاد في الرابعة أو الثالثة بمثل ذلك، قال: فغضب الإمام عليه السلام وأخذ عصاء وقال: تنح عني، اخرج عني فلا أجد، قال: فخرج السيد، ووصل الإمام عليه السلام ليس بالكثير فاعترض السيد بعض المساكين وشكا عليه فرق له وعاد إلى الإمام عليه السلام متبسماً وقال: أردت آنف منك ساعة فما قبل المساكين وإذا شيء سهل فأجرك على الله، قال: فأخرج لهم ذلك ثم جاءت أحمال البز والدراهم الواسعة حتى امتلأ ما بين يديه فجعل يقرأ: {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ، ويقول: هذا من بركات السيد علي جزاه الله عني خيراً وأكثر من الدعاء له، وكان هذا السيد من الفضل والعلم بمكان.

ولقد روي أن الإمام عليه السلام مرض في بعض الأيام فقال: إن حدث لي حادث فأرى أن السيد علي أولى بمقامي ممن أعرف أو كما قال، وزوجه عليه السلام ابنته فاطمة الشريفة الطاهرة الفاضلة ابنة أمير المؤمنين، وقبره إلى جنب مسجد الميدان في شهارة المحروسة بالله مزور مشهور، وهو من ولد الإمام القاسم الحرازي من بيت شهير بالفضل والعلم.

[ورع الإمام واحتياطه]

فصل [في ذكر شيء من ورعه واحتياطه]: ولنذكر شيئاً من ورعه واحتياطه من ذلك أني لا أعرف أحداً في عهده وبعده من أولاده وأولاد عمه مثل السيد العلامة عبد الله بن عامر وقبله حي أخيه العلامة الفاضل أحمد بن عامر لم يأكل من بيت المال ولا من غيره إلا ما يملكونه وتر اهم يضعون طعامهم الخاص على الطعام العام وكل عما يره له أو لبيت المال

أو لطريق أو مسجد أو منهل إنما يكون ذلك من نذوره، ومن ذلك أنه عليه السلام جعل في بيوته المباركة وبيوت أولاده طبقة مخازين لبيت المال [ق/485] في مقابل ما يأكله العمارون والسقاة من بيت المال، وأما الأجرة والآلة فمن نذوره عليه السلام ولقد أراد عليه السلام أن يجري ماء يجري على الباب الشرقي في الجامع المقدس من البركة وهو لا يمكن الصعود فجعل شيئاً يسمى شهافاً اخترعه على أنه يصعد الماء إلى أعلى، ثم يجريه إلى باب المسجد الشرقي ويعود البركة، فعمره وجعل له أنابيباً كباراً من مدر مخصوص لا يضره الماء والقضاض، ثم اعتنى فيه حتى ارتفع وما حصل المقصود ولا تم له ذلك فأخبرني حي ولده مولانا الحسين رضوان الله عليه أنه قضى ما أكله أهل العمل فيه من بذر ماله حتى أوفاه واحتاط بزيادة، وأما الأجرة فهي من نذوره وماله مطلقاً، وأخبرني رحمه الله أنه استغفر وقال ما حملني على ذلك إلا الشفقة بالمسلمين لأن ما في موضعنا هذا مثل المدائن غيول وأنه لم يكن له قدوة سبقه إلى ذلك وإنما تصوره لأنه كان يشرب من ركوة لها موضعين للماء كما هي عادة الركوة، قال: فكان يشرب الماء فإذا فتح فاه وأغلق أحدهما اجتمع

الهواء فأحس له حركة يشهف ما قبالته ثم جربه في التراب ففعل فأراد مثل ذلك، ومن ذلك تقديره النفقات حتى لا يمكن أن يبقى شيء ولا يحتاج المستنفق شيئاً وجعل المدخول عشر قوب والمخروج ست قوب، وفي هذه غاية الاحتياط والورع لأن السامع يقول ذلك من السياسة والتدبير وأخلق بها من مثله صلوات الله عليه، وأما الأكثر فللنفع العام فيكون ما صورته قوت شهر يكفي شهراً وثلثي شهر والأصغر لتعريف النفقة الكافية وقدرها والثالثة القدح في زاد المسافر وحصة ابن السبيل خمس قوب وأربع ويصل فيها رفيقه، واحتياط خليق بمثله عليه السلام لأن المسافر إذا بلغ وطنه وجب عليه رد الزيادة أو الصرف كما هو مقرر في مواضعه، ومن المعلوم في أهل العصر أنهم لا يفعلون ولهم حصة وقد يتضيفون وكان في ذلك الأقرب إلى مراد الشارع لأن ابن السبيل له حق في مال الله فإن حصلت

الكفاية وجب عليه رد الفاضل أو صرفه وهو لا يفعل، والأغلب على ابن السبيل أن يستطعم أهل الطرقات فيطعموه وليس وراء هذا احتياط.

[وفاة الإمام القاسم بن محمد]

وأما وفاته صلوات الله عليه فتوفي لمضي ثلث الليلة المسفر عنها يوم الثلاثاء لاثني عشر يوماً من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف[16فبراير1620م]، ولم يكتم أمر موته صلوات الله عليه بل عرف الخاصة والعامة مرضه عليه السلام [ق/486] ولم يطل وإنما كان من ألم المسبع فطال فيه ثلاثة عشر يوماً أو أربعة عشر يوماً ثم توفي رضوان الله عليه، وكان قد أرسل لجماعة أهل الفضل الذين خارج شهارة المحروسة بالله مثل السيد الإمام العلامة شيخ العترة أمير الدين بن عبد الله رضوان الله عليه، ومثل السيد الفاضل العلامة عز الدين محمد بن علي بن عشيش الحوثي رحمه الله، ومثل السيد العلامة محمد بن علي الحوثي الحاكم بمحروس الظفير، والسيد العلامة المجاهد جمال الدين علي بن إبراهيم الحيداني وغيرهم.

وممن بعث إليه مع مرضه عليه السلام الحاج الفاضل المجاهد شمس الدين أحمد بن عواض الأسدي، وأما الذين في شهارة المحروسة بالله فهم: السيد العلامة الفاضل العابد صلاح الدين صالح بن عبد الله المعروف بابن مغل الغرباني، والسيد الفاضل الزاهد محمد بن الحسن بن شرف الدين رحمه الله وأخوه السيد العالم المجاهد جمال الدين علي بن الحسن بن شرف الدين، والسيد الفاضل محمد بن عبد الله بن مغل الغرباني والسيد جمال الدين علي بن عبد الله العبالي، والسيد العالم الحسن بن محمد الشرفي أطال الله بقاه وأخوه السيد العالم الفاضل عبد الله بن محمد، وأما أخاهم شيخ العترة صفي الدين أحمد بن محمد رضوان الله عليه فكان مريضاً لم يحضر.

ومن الفقهاء سيدنا الإمام العلامة جمال الدين عامر بن محمد الذماري رحمة الله عليه وسيدنا العلامة شرف الدين الحسن بن علي العيزري رحمة الله عليه، والقاضي العلامة

الأديب جمال الدين علي بن محمد الجملولي والقاضي جمال الدين علي بن محمد الروسي وسيدنا العلامة الفاضل عز الدين محمد بن عبد الله الآنسي المعروف بالغشم، وسيدنا العالم الأديب صالح بن عبد الله بن حنش رحمه الله والفقيه العالم الأمين عماد الدين ناصح المسلمين يحيى بن محمد بن حنش، والقاضيان العالمان الفضلان جمال الدين علي بن الحسين المسوري، وسعد الدين بن الحسين المسوري وولداهما سيدنا القاضي العلامة صفي الدين وبركة المسلمين أحمد بن سعد الدين ورضي الدين زيد بن علي بن الحسين، وكان مع صغر سنه كاملاً.

وأما السادة الذين وصلوا في الليل عقيب وفاته صلوات الله عليه من أهل المحراب فهم السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن محمد المحرابي وصنوه الحسن بن محمد والحسين بن محمد، والهادي بن محمد ومحمد بن الحسن، والسيد القاسم بن نجم الدين [ق/487] كلهم من أهل الفضل والكمال، والسيد العلامة الكامل شرف الدين صلاح الدين صلاح بن عبد الخالق بن يحيى، والسيد العالم صارم الدين إبراهيم بن يحيى وغيرهم، ومن المتعلمين أهل الإجادة والإفادة كثيرون، وكان مولانا شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين رحمة الله عليه في بلاد الشرف طائفاً للبلاد ومقرراً أعمالها وكانت إليه رضوان الله عليه فوصله البريد في ابتداء مرض الإمام عليه السلام فوصل وبقي عنده نحو ثمانية أيام حتى توفي وهو حاضر وأمور العامة والخاصة إلى مولانا محمد عليه السلام كما هي عهدته مع صحة أبيه سلام الله عليهما.

[مبايعة الإمام محمد بن القاسم]

نعم، فلما توفي صلوات الله عليه كما تقدم وقد اجتمع أهل الفضل كمن تقدم ومن سهيت عن اسمه وللاختصار كان أول مخبر لهم ومعزٍ مولانا محمد عليه السلام فعظم على أهل الفضل موقع ذلك حتى أحصروا عن الكلام وأقعدوا عن الحركة وعظم الأمر، فكان أول متكلم سيدنا العلامة الحسن بن سعيد العيزري رحمة الله عليه وقال فيما قال: إن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم..)) الخبر.
والإمام قام بفرائضه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -أو كما قال- وقد سقط عنه التكليف وتعين عليكم، فتراجع الفضلاء وسكنوا بعض السكون ثم تشاوروا وكاد يطول منهم وكلهم ينص على مولانا محمد وأخيه الحسين سلام الله عليهما، فتكلم مولانا محمد بكلام فصل جزل وقال فيه: إنما أنا وأخي عونان لمن يقوم بهذا الأمر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا لنا في ذلك شيء ثم طلب المفاتيح على بيت المال من الفقيه عماد الدين يحيى بن محمد بن حنش وقال: ضعها يا سيدنا عند الأصحاب ينظرون لأنفسهم، ثم خرج عنهم ودخل منزله وأغلق على نفسه ثم أجهش باكياً، وكان أهل البيوت لا علم لهم بوفاة الإمام عليه السلام لأنه لما توفي رضوان الله عليه وكان عنده مولانا محمد ومولانا الحسين رضوان الله عليهما والفقيهان الفاضلان عماد الدين يحيى بن صلاح الثلائي وجابر بن فتح الله العفاري فتركاهما عند الإمام عليه السلام على أنه حي لا يعرف أهل البيوت قبل أن يبرموا أمر الخلافة فلما سمع أهل بيته بكاه عرفوا وفاة الإمام عليه السلام فسمع الفضلاء

فاهتموا بتمام الشورى، وعولوا على مولانا الحسين رحمه الله أن يدخل على أخيه ويخرجه [ق/488] لهم ففعل، فلما وصل نصوا كلهم عليه وألقوا ثقل التكليف إليه متفقين الرأي فيه فلا زال بهم حتى استحلفهم أنهم لا يعلمون له عذراً عن التخلف وقال بعضهم: والله إن لم تفعل ليجب علينا نعيد ما قد صلينا خلفك أوكما قال، ثم تبادروا إلى بيعته مزدحمين عليها حتى فيما ظننت والله أعلم إنما قام الفقيهان الفاضلان يحيى وجابر ومن أعانهما على غسل الإمام عليه السلام إلا وقد بايع أهل الحضرة، ثم من بعدهم فوق ثلاثمائة أكثرهم من أهل الفضل والعلماء والمتعلمين، وامتدت البيعة نحو ثمانية أيام، وكان المتولي لها السيد العلامة محمد بن علي بن عشيش وسيدنا العلامة عامر بن محمد الذماري رحمة الله عليهما لا ينفك أحدهما عند الإمام عليه السلام ثم أمر الإمام بكتب صنعاء وكانت إلى مولانا

الحسن رحمه الله كتاباً وإلى الباشا محمد كتاباً، وإلى الأمير علي بن المطهر بن الشويع كتاباً، وإلى السيد فخر الدين عبد الله بن شمس الدين بن جحاف السفير بالصلح كتاباً، فإنه كان باقياً لأعمال مما يتعلق بالصلح مضمون الكتب إعلاماً لهم بوفاة الإمام عليه السلام وقيام مولانا أمير المؤمنين، وسيد المسلمين المؤيد بالله رب العالمين محمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله سلام الله عليهما،وفي الكتاب الذي إلى الباشا محمد بعد إعلامه والبسط في موضعه والإيجاز في محله مما هو خليق بمثله ما معناه وقبض الله سبحانه مولانا وإمامنا ووالدنا أمير المؤمنين سلام الله على روحه وقد عقد بينكم وبينه صلح فيه صلاح

المسلمين وحقن دمائهم وكذا ثم توفاه الله وتحملنا ما كان من ثقل الأمر، فإن ترون تمام المدة وتسكين الهدنة فعلينا أن نقتفي أثره ونحيي ذكره ولا ننقض له عهداً ولا نخلف فعلى ما ترون، وإن ترون غير ذلك جعلنا هدنة حتى تعود حنودكم مواضعها، وبعد أن تعود مواضعها نستعين الله سبحانه وتعالى والجواب منكم أو كما قال
[................................] .

[جواب محمد باشا للإمام المؤيد بالله محمد]
ووصل جواب محمد باشا وهذا لفظه:

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} وقدوة مستحسنة طريق سلكه سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، لله الحمد على ما قضى، وقدر وأمضى، {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} وكل إنسان وإن طال عمرانه إلى الفوت إنا لله وإنا إليه راجعون وصائرون ومنلقبون، فنعزي ولدنا الإمام المقام الأكمل، السيد العلم الأفضل، منبع الفضائل عمدة الأفاضل، مالك أزمة المفاخر العميمة، والمعارف الجسيمة محمد بن القاسم بن محمد منحه الله صبراً، و كتب له أجراً بوالده الإمام العلم الأطول الأعلم الأفضل تغشاه الله برحمته ورضوانه، وأسكنه بحبوح جنته بإحسانه، وجعل نزله في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين، والتسليم حق لله في أمره وحكم قضائه حلوه ومره، وحكمه السابق النافذ في جميع الخلائق، والله يجبر هذه الرزية ويأسوها ولا يريكم بعدها سوءاً ولا مكروهاً، والحمد لله الذي جعل القائمين من بعده لما اختاره من الخير من عنده وقيامكم بالأمر بعده استخارة الله سبحانه وتعالىومواطأة من العلماء الأخيار والقضاة الأطهار، فأنتم إن شاء الله لذلك أهل، ولما وقع من اختيارهم موضع ومحل تولى الله عونكم ورزقكم الصبر، وكتب لكم على فراقه الأجر فقد أنالنا ذلك السرور بعد الفزع، وحصل لنا به الحبور الذي أذهب الجزع، وأنتم بمقامه أحق وإليه أسبق، وذكرتم أن الذي بيننا وبين والدكم رحمه الله من العهود والمواثيق ثابت أساسها ومراسها ثباتة وقوة كما هي الإرادة

المرجوة ونحن إن شاء الله تعالى على ذلك ما يبدو منا أمراً نظهر فيه إخلالاً ولا يكون بسببنا لموضوعات قواعدها وعقودها انحلال، بل إنا لكم كما أنتم لنا وما هو موجود عندكم وكذلك عندنا والألفة الصافية، الخالصة الوافية، كما هي ما يغير تلك القواعد مغير ولا يكدرها مكدر، ونحن لكم في أمر الخير مساعدون وطريق مرضاة الله معاضدون، والله يختار لنا ولكم الخير ويأخذ بنواصينا إليه، ويرشدنا ويحسن حالتنا عليه، وحسبيي الله وكفى، في تاريخ سابع عشر في شهر ربيع من شهور سنة تسع وعشرين بعد الألف سنة، حرر بمحروس صنعاء. انتهى.

[رسالة من بعض علماء صنعاء للإمام المؤيد بالله محمد]

[ق/492] ووصل كتاب من بعض علماء صنعاء ولفظه:

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملاً، وهب نعمة وفضلاً، وسلب حكمة وعدلاً، جعل الموت تحفة الأبرار، وزلفة تدنيهم إلى دار السلام، في جوار الملك الغفار:

وما هي إلا نقلة غير أنها .... من العالم الأدنى إلى المنزل الأعلى

وأزكى الصلوات على من اختار الرفيق الأعلى فدنى ثم تدلى، وعلى آله الأخيار الفائزين من التطهير بالقدح المعلى، ما صعد عمود الإيمان بصبح فضلهم وتجلى، وبعد:

فلما ورد علينا حباب المصاب فشربنا منه بكأس روية وتقاسمنا هموم بلاياه المذهبة للروية، شق الأنملة بالسوية من المواقف المحمدية القاسمية، من ألقت عليه الإمامة شعاعها، ونشرت بيمين إنالته طيور السعادة على كثرة أجناسها وأنواعها، وغرسته أيادي العناية الربانية بيدها وسقته بأنوائها، فتلاحقت عنده إعجاز مواهبها بهوادها، أسجد الله تعالى على وصيد أعتابها كل جبين متوج، وأقام بحميد عنايتها كل أمر أعوج، وأنهج لمطالبها كل باب مرتج، وأبان تفضلها كل حق أبلج، وأطفأ بعد لها لهب الباطل إذا ارتفع وتأجج، فحين دهمنا ذلك الأمر المهيل، والبلاء الذي يكون الصبر عنده خير جميل، فيالك من أجفان شرقت بالدموع، ونيران متقدة في أحناء الضلوع، وبنان تود لو ماتت أن يخط بنازل الخطة، وأنفس أساطت بها بلابل الهموم المشتطة، والناس من شدة الأحزان والكمد وفقد الاصطبار والجلد، ما لا يستطاع ذكره، فكيف يحتمل أمر ثقله وزبره، فياله من خطب عم بيت الرسالة، جدد الخطب في الوصي والبتول وياله، فأولاد الوصي تحني ظهورها أسفاً، ومعادن الإمامة تذري دموعها ولهاً ولهفاً، ولكن ما نصنع والقضاء نازل، والموت حكم شامل، ونحن في دار نقلة، ومحل قلعة، فمن راحل ليومه، ومن مدعوٍ لغده، وهي العارية المرتجعة، والسحاب المنقشعة، ولو كان من الموت وزر، لكان لخير البشر، ولنا به أسوة ولن نصاب بمثله كما ورد في الأثر، وفي الله عزاء من كل مصيبة، ودركاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك، فبالله فليثق من عمه المصاب من أولئك، مع أن من صنع الله الحفي، وجميل لطفه الخفي، أنقذنا بعد المحنة بالمنحة،

فما عبس المحزون [حتى تبسم، ولا ركد رحا الإمامة حتى تنسم، إذ سد هذه الثلمة بأفضل خلف لأكرم سلف، وأنجب فرع لأعظم أصل، فيا لها من تحف، فوجب علينا تخطي

الأحزان، إلى شكر الإحسان، دلت الرزية في هذه القضية، دلالة ضمنية على جزيل العطية في البرية، إذ كان مولانا المؤيد بالله القائم بعده الساد مسده، فهو في حكم الخالد وإن أصبح في الثرى، والمقيم في أهله وإن أضحى في العراء، فرحم الله إن بكت المكارم شجوها لفقده، ولبست المعالي حدادها من بعده، وأعاد علينا من بركاته ما يهون علينا مصاب الدنيا التي صار الحدث أخف ظنونها، وأصغر دنوها، والله اسأل أن يربط على القلوب لفقد المحبوب، وبالتماسك بالحسنات التي تُنجي من المهالك، وأن يفيض على مولانا ومن تحوطه شفقته تجلداً يضاهي اجتماعه السديد، ويجعل مسرة يومه تابعة لمساه، والحمد لله على ما وفق إليه الأصحاب من إقرار الحق في نصابه، فأصابوا الصواب وأقاموا ما يجب للإسلام من الحق الواجب، ولو سكتوا أثبت عليه الحقائق، فما اكتأبنا للمنعي إلينا حتى ارتبطنا بالمستخلف علينا، ولا تجهش باكينا عند الرزية حتى استهل ضحكنا للعطية، تصديقاً لخبر بدا خير الأمم: ((أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم)) هذا والله لقد أعطى القوس باريها، وأنزل الدار بانيها، ومن أحق الصدر من صدر الأفاضل، المؤيد الرئيس، عقد الفخار الرائق النفيس، كيف وهو المبرز في جلباب الفضل على نظرائه وأمثاله، واعترف وأنا الحقير في مساجلته عن قرب غايته وبعد مناله، وقد أغنى ظهور فضله عن إقامة البرهان، وكف اشتهار نيله حتى لم يختلف فيه اثنان

وكيف يصح في الأذهان شيء .... إذا احتاج النهار إلى دليل

من ذلك، ثم رآه بعد ذلك، ارتفع السماء.

ومنها ما حكاه ولده السيد الأكمل صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين أيده الله، وهو يومئذٍ بصعدة متولياً من جهة والده، قال: إنه سمع ليلة موت والده عليه السلام والليلة التي قبلها حركات في المنزل الذي هو فيه، ولم يكن بقربه أحد، وأنه حرك عليه باب المنزل الذي هو فيه مرات] [ق/493] حركات غير معهودة، وكان له كوز يشرب فيه تركه فوق سطح

في الليل للتبريد، فلما كان نصف الليل سمع الكوز وكأن أحداً حمله ورمى به إلى حجر تحته فقام فوجد الكوز قد تهشم تهشيماً عجيباً كصورة الفلوس، ثم إنه سمع في تلك الليلة وفي الليلة التي قبلها والتي بعدها أصوات بكاء ونواح بالقرب من منزله فقام ليرى الباكي فلم ير أحداً ولا أحس ببكاء، ولما عاد إلى فراشه عاد البكاء وهو كأنه في طاقات المنزل الذي هو فيه وكأنه والله أعلم من بكاء الجان، وسمع أيضاً بعض شيعة الإمام بمحروس صعدة ممن كان واقفاً بالقرب من الدار التي فيها السيد صفي الدين في منزله لم يكن فيها إلا هذا الراوي سمع دق الباب عليه في تلك الليلة ثلاث مرات متفرقات ينبه في كل مرة من نومه ولم يعهد ذلك قبله ولا بعده.

ومنها ما حكاه بعض أولاد القاضي العلامة المفيد جمال الدين سعيد بن صالح الهبل وهم يومئذ ساكنون بصعدة دارهم ملاصقة الدار التي فيها ولد الإمام عليه السلام السيد صفي الدين أحمد حفظه الله وهم جماعة من ذكور وإناث أنهم سمعوا في الدار التي فيها ابن الإمام عليه السلام في ليلة موت الإمام عليه السلام أو فيما بعدها قراءة القرآن كأنها من جماعة بأصوات أقرب إلى أصوات الصبيان كثيرة فظنوا أن ثم من يقرأ في بيت الإمام وأن أحداً ألزم بالقراءة فيه كما جرت العادة في بعض الأوقات أنه قد يطلب من حملة القرآن من يدرس في البيت الذي يسكن فيه ابن الإمام أو أحد أولاده خصوصاً ليلة الجمعة وحين ظنوا ذلك اجتمعوا هم للقراءة في بيتهم الذي هم فيه بناء على أن تلك القراءة آنس ولم يكن أحداً يقرأ في ذلك الوقت حيث سمعوا القراءة، وسمع أيضاً غير المذكورين قراءة في غير الجهة التي سمعوا فيها وهي من ذلك القبيل. انتهى.

ومما ظهر واشتهر ما روى غير واحد عن الحاج الفاضل شمس الدين وعمدة المجاهدين أحمد بن عواض رحمه الله أنه أتاه آتٍ في ليلة موت الإمام عليه السلام أو التي قبلها فأيقضه مراراً يقول: مات صاحبك، أو قال: أدرك صاحبك قال فعلمت أنه الإمام فاشتد في طريقه وقد

سار أول مرحلة من صعدة إلى الفقمين مما يلي بلاد عذر ووصله الخبر بالحقيقة فسقط في موضعه ولم يقدر بعد ذلك الوصول إلى شهارة إلا ثاني يوم أو ثالث.

وأما قضية النور الذي طلع على قبره الشريف سلام الله عليه في أول عام ثلاثين وألف [1621م] فمشهور، وصفته ما رأيت ابتداه وقد خرجت من سعدان بعد العشاء الآخرة بغلس أريد دار العقبة وكان فيه بيتي في تلك المدة [ق/494] وأمامي الشيخ الفاضل عبد الله بن أحمد الحارثي رحمه الله كلنا كنا عند الفقيه الفاضل عماد الدين وأبو المساكين يحيى بن محمد بن حنش رحمه الله، وكان في الناس قل في تلك الأيام في شهارة المحروسة، وكان الشيخ المذكور أول خارج من خرج من الباب وقد غطى رأسه لرياح فرأيت كواو القبة المقدسة وهي كما عرفت من العمارة والباب معمور بحجارة أيضاً ثم الكواو [ولم تبوب] وقد ملأ الطياق نور مجموع أبيض مثل قرع الخريف الصافي وازدحم فيها كأنه العطب المنفوش فناديت الشيخ عبد الله وقلت له: أترى هذا في القبة فالتفت نحو النور وقال هذا رجل من المغفلين أو كما قال قد نذر بأرطال لبان فأوقده مرة واحدة، ومضينا وأصبح الصبح والناس يتحدثون بأنه كبر وعظم حتى رآه من كان في شهارة، ثم رأوه إلى أقر أيضاً في المحطة المنصورة وتحدث الناس به وعدت إلى الإمام المؤيد بالله عليه السلام وكان عنده عدة من الفضلاء والعلماء منهم سيدنا العلامة الزاهد القدوة عز الدين محمد بن عبد الله المعروف بالغشم نفع الله به فسألني عن هذا النور فأخبرته بأوله وإنما سمعت انتهاؤه من ألسنة الناس فتحرك لذلك كثيراً ثم كتب تهنئة إلى مولانا المؤيد بالله سلام الله عليه، وتكلم في هذه المنقبة بما لا أضبطه، وأخبرني أيضاً سيدنا العلامة صفي الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله عمره أنه رأى

مرة أخرى على القبة نوراً يضيء، وبقي مدة وذلك في الليل وكان معه عند ذلك بعض الفضلاء والعلماء. انتهى.

رجعنا إلى ما كنا فيه، ثم إن الإمام عليه السلام أمر بتغليق الأبواب ولم تفتح إلا لرسولين

خفيفين هما قاسم بن طاهر المذعوري والحاج صالح بن عبد الله بن أبي شفلوت أحد حجاب الإمام عليه السلام ووجهت الرسائل المتضمنة للدعوة عقيب التعزية إلى جميع بلاد الزيدية ممن في جانب الإمام عليه السلام وممن تحت سلطان العجم، وعين لأخذ البيعة له في صعدة المحروسة بالله القاضي العلامة الصدر جمال الدين سعيد بن صالح الهبل الخولاني رحمة الله عليه فسارع إليها الناس على طبقاتهم وتلقوها بما يحق من التبجيل والتعظيم، وكان أول مبايع مولانا صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله كما أخبرني البرد وغيرهم، ولما بلغ السيد العلامة صارم الدين داود بن المهدي المؤيدي رضوان الله عليه ذلك دهش وعظم عليه الأمر حتى ركب إلى العشة، واجتمع به كثير من أهل الفضل [ق495] وتلامذته وإخوانه بنو المؤيد فظنوا أنه بدا له بدو ويدعو إلى نفسه كما فهمت من سياق حديث منه رحمه الله يخاطب به مولانا الحسن رحمه الله في صعدة فخرج بهم إلى مكان جامع في الفضاء وخطبهم وبايعهم للإمام عليه السلام جميعاً وأخبرهم إنما خرج على تلك الصفة إلا لعظم ما ورد عليه من الغم، فكان ذلك مما أصلح الله به الشام الداخل، وكان في صعدة المحروسة بالله في تلك المدة عدة من الأعيان والفضلاء مثل السيد العلامة أحمد بن المهدي المؤيدي، والسيد الفاضل العالم أحمد بن محمد بن عز الدين والسادة آل الطيب، والسيد

العلامة أحمد بن محمد بن صلاح القطابري، والقاضي العلامة عماد الدين يحيى بن أحمد بن حابس الحاكم، وولده العلامة الحبر المجتهد شمس الدين أحمد بن يحيى، والحاج الفاضل العلامة أحمد بن علي دعيش وغيرهم.

ولما وصلت جوابات صنعاء بتمام الصلح وتقرير قواعده وحكي أنهم اجتمعوا وائتمروا بينهم فأشار جمهورهم بأن الصلح خير ولا يلد الأسد إلا شبلاً أو كما قالوا، وأخبرنا البرد والمترددون في تلك الأيام وكذا حي مولانا الحسن رضوان الله عليه قرر جملته وما يفهم صدق الرواية من غير أن أسمع بسطاً منه سلام الله عليه أن الباشا محمد طلبه إلى عنده

وكان قد طلبه مع عقد الصلح وأطلقه من القيد واعتذر على الإمام عليه السلام في عدم إطلاقه بأنه في حبس غيري يعني الباشا جعفر واني جعلت شاهداً على نفسي لجفعر باشا في أنه بيدي وديعة للسلطان، ولما وصل إليه عزاه وأجل قدره وبقي عنده قريباً من أكثر النهار وخاطبه خطاباً حسناً وكثيراً ما كان يسمع من حي مولانا الحسن رضوان الله عليه الثناء على أدبه وكمال عقله ومروءته، وأنه سأله عن أخيه الإمام عليه السلام فاخبره بحيلته ومبلغ سنه عند الدعوة، قال: فقال له أنت يوسف إخوتك وأقسم له الأيمان البالغة أنه قد أحبه وأنه جاهد في إطلاقه ثم أخذ يسود كتاباً إلى السلطان وإلى وزيره كتاباً فيهما من البلاغة وحسن اللفظ واستيفاء المعنى ما يعظم من مثله، ثم وصله بصلات وأجرى له مصروفاً.

نعم، وقد ذكرنا ما وقع مع أهل الفضل من الرزية العظماء والفاقرة الكبرى عند وفاة الإمام عليه السلام خصوصاً، وكذلك في سائر البلاد عموماً من ذلك ما نقل من خط القاضي شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاه أنه وصل يوم وفاة الإمام عليه السلام رجل من جبل هنوم [496] وقد أخرس لما بلغه وفاة الإمام عليه السلام فلم ينطق بكلمة واحدة فوصل حضرة مولانا المؤيد بالله سلام الله عليه وقرأ عليه هو ومن حضر من السادة والشيعة فلم يكن ثالث ذلك اليوم إلا وقد من الله سبحانه وتعالى له بالعافية وأطلق الله لسانه فله الحمد كثيراً، ومن الناس من أجراه بطنه دماً عند بلوغ وفاته عليه السلام ومن النساء في محروس الظفير من ألقت جنينها، ومنهن من هلكت بعد بلوغ الخبر وحصل مع الناس من ذلك أمور لا توصف إلا أنه كان من وصل حضرة المؤيد بالله زال عنه ذلك الحادث وكشف الله عنه.

ولنرجع إلى أخبار وفاته وموضع قبره وقدمنا دعوة مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله سلام الله عليه لما تقدم من مقدم ذكرها قبل دفن أبيه سلام الله عليه فإنه لما انتضم الأمر أمر مولانا محمد سلام الله عليه بأن يحفر له في منزله شرقي مسجد الشريف ففرغ القبر وأخرج

صلوات الله عليه إلى صرح المسجد الجامع وصلى عليه المسلمون ثم تودع جسده الشريف الفضلاء، ودفن قبل صلاة الصبح بمنزلة أو منزلتين وقامت قراءة القرآن على قبره الكريم أشهراً مع أنها لم تزل إلى يوم الناس، هذا ونحرت النحائر وعقرت العقائر وصرفت مع الصدقات المجراة كما تقدم حتى كثرت فاستحياها الإمام عليه السلام وصرفت في القرب، وجعل منها حصة وافرة لأهل العلم والقرآن وعين لها من بيقبضها ويصرفها وحصل بها الانتفاع وقد ذكرنا أنه عليه السلام أمر للفضلاء فيما سمعناه في ذلك الأوان قبل وفاته. وأما الوالد السيد الفاضل محمد بن ناصر بن عبد الله الغرباني خال مولانا الإمام محمد أطال الله بقاه فذكر أنه مولانا محمد المستدعى لوصولهم وأن ذلك بمشورة أهل الفضل منهم ونصح أن يكونوا مجموعهما. والله أعلم.

ولما توفي سلام الله عليه واجتمع المسلمون إلى ولده مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله سلام الله عليه ذهب عنهم كثير مما يجدون وقاموا بما يجب لله سبحانه من المسارعة إلى نصرة إمامة مولانا محمد سلام الله عليه، ولما كان آخر نهار ذلك اليوم بعيد العصر وصل السيد العلامة شيخ العترة أمير الدين بن عبد الله رحمة الله عليه فلما رآه الناس طالعاً عليهم من باب النصر وهو على بغل مولانا الإمام صلوات الله وعليه ومعه خادم الإمام عليه السلام وشيبه يقرب [ق/497] من شيب الإمام عليه السلام وهم يعرفون أنه أحد شيوخ الإمام عليه السلام ومحله منه ومن الإسلام فتلقاه الناس أفواجاً للسلام عليه وقل من لم يبك منهم إذ رآه ثم قدم إلى القبر الشريف، فجثى عليه وكان فائدة ولم يحضر حال الدفن وزار وأطال، ثم تقدم إلى سعدان فتلقاه من عند الإمام عليه السلام من العلماء والإمام كذلك ولا رأيت عيناً لم تدمع من أهل الفضل، ثم جعل يده الطاهرة في كف الإمام عليه السلام وبايعه مع وصوله ولم يقبل مراجعة بل قال ومن لها بعد الله غيرك يا ولدي، ثم صافح العلماء ومن لم يسلم قبل ذلك، وكان الجمهور من العلماء في قراءة البحر الزاخر على مولانا محمد سلام الله عليه في كتاب النكاح فمن ثالث ذلك النهار عادوا جميعاً لتمامها، وكان الإمام عليه

السلام قد ابتدأ احتفار البركة الكبيرة المسماة بركة الإمامين التي في الطوف القبلي فهم فيها لم يشتغلوا غير يوم وفاة الإمام عليه السلام وكذا كل عمل ديني أو دنيوي أتموه ووصلت الجنود الإمامية من كل جهة وجدد الله للإسلام ما كان قبل وفاته

عليه السلام من الاجتماع والتمام، ولقد رأيت سيدنا العلامة عامر بن محمد رضوان الله عليه كثيراً ما يحمل على يده بجهد جهيد الحجارة في البركة المعروفة، وكذا كثير من الشيوخ لأجل تأنيس الأولياء أن الحال ما حال وإرغام أنوف الأعداء أن الباقي أهل الكمال، ومما رثي به صلوات الله عليه ما قاله القاضي العلامة البليغ المقول جمال الإسلام والمسلمين، وشجاك الملحدين علي بن الحسين المسوري رحمة الله عليه وهي التي في اللوح على يمين الداخل لزيارته عليه السلام في قبته المشرفة وهذه المرثية:

من الآن فلتبك العلى والفضائل .... ويهمل إلا ذكرهن الفواضل

سلام على الدنيا سلام مودعٍ .... فقد أوحشت منها علينا المنازل

وأظلمت الآفاق طراً وأكدرت .... علينا لداهي الخطب منها المناهل

بفيك الثرى يا ناعي الجود والهدى .... لقد هد ركن المجد ما أنت قائل

نعيت أمير المؤمنين فقل لنا .... أبالحق إذ مات الإمام الحلاحل

لأن كان ما قد قلت حقاً لأنه .... لخطب لأبناء البسيطة هائل

قلوبهم مما زعمت رواجف .... وأدمعهم مما ذكرت هوامل

أمات فما للنيرات طوالع .... وذي الشمس لم تكسف وذوالبدر كامل

[ق/498]

وهذه الجبال الشم شامخة الذرى .... فما بالها إن صدعتها الزلازل

وذي الأرض لم يخسف بها وبأهلها .... أحققت أم قد غال عقلك غائل

بلى إنما قد قلت حقاً وإننا .... لنعلم أن الموت بالخلق نازل

وإن إلى الله العظيم مسيرنا .... وأن قضاء الله للكل شامل

وإن قصارى كل حي إلى الفناء .... وإن نال من دنياه ما هو آمل

ولكن رزء القاسم بن محمد .... هو الرزء لا ما تدعيه الثواكل

إمام بني الزهراء درة تاجهم .... وحاميهم إن حوربوا والمناضل

خضم العلوم الزاخرات وشمسها .... إذا أشكلت يوماً علينا المسائل

هو العلم الهادي إلى الحق والذي .... به يهتدي من حيرته المجاهل

هو الغيث غيث المرملين ومن له .... أنامل غر سحبهن هواطل

أقام قناة الدين بعد اعوجاجها .... وشيد من بنيانه وهو مائل

وأطفأ نار الظلم بعد التهابها .... وأهلك أسد الكفر وهي صوائل

وقاد لحرب المبطلين كتائباً .... يغطي شعاع الشمس منها القساطل

وأعمل في حرب البغاة نوافذاً .... من الرأي لا يبلى بلاها الجحافل

وقام بأمر الله جل جلاله .... ولم يثنه عن نصرة الدين عاذل

ولا راعه ملك العدو وقهره .... ولا صد عنه خؤون وخاذل

أبٌ كان للأيتام يحنو عليهم .... فما لهم إلا هو كاف وكافل

يراهم بعين لا يرى غيرهم بها .... ولا هو عنهم ما تقلب غافل

يفيض عليهم سحب فيض نواله .... إذا خلفتهم عن نداه المخائل

وإن نزل العافون سدة بابه .... تلقتهم قبل النزول الفضائل

وإن أبصروا يوماً بياض جبينه .... تجلت غموم عنهم وبلابل

فمن علمه تملا عليهم مسائل .... ومن جوده تجري إليهم جداول

فيشفي سقيم الجهل ترياق علمه .... وتحيي قبيل الفقر منه النوافل

بليد بليغ القول ما هو قائل .... وينسى جميع الفعل ما هو فاعل

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب .... يرى أن ما هو فيها وحاشاه باطل

فلا لشهي الزاد تطرب نفسه .... ولا الملبس الباهي تراه يحاول
[ق/499]
إذا قدموا يوماً إليه طعامه .... يقول أما غيري له اليوم آكل
وإن قيل هذا سائل فكأنما .... سروراً به أدت له الخرج بابل
ترى الوفد أفواجاً إليه كأنما .... تهب بهم داع إلى الحق حافل
فمن آيب يثني عليه بفعله .... ومن قادم قد أنصبته المجاهل
فذا باسمه يرجى المطي مؤملاً .... وذا باسمه يحدو بها وهو قافل
صفات له لو أن معشار عشرها .... تحلى بها ذا الخلق لم يلق خامل
فدع عنك تعداداً لذكر صفاته .... فعند التناهي يقصر المتطاول
وإن كنت سحباناً بياناً ولهمة .... لأنك في مدح الإمام لباقل
فيا يومه ماذا هدمت من العلى .... بك انزاح عنا منه تلك الشمائل
ويا غاسليه كيف قمتم بغسله .... أيقوى بتقليب الشوامخ غاسل
ويا حامليه كيف سرتم بنعشه .... أيا عجباً تمشي بثهلان حامل
ويا قبره كيف اتسعت لشخصه .... وقد كان بحراً ما له الدهر ساحل
أبا حسن من للعلوم ونشرها .... ومن ذا بنور الحق عنها يجادل
أبا حسن من للشريعة إذ وهت .... عراها وخان الدين لص مخاتل
أبا حسن من للمعالي فقد وهت .... كواكبها وانهد منها المعاقل
أبا حسن من ذا عن الدين يتقى .... وبالمشرفيات الرقاق يقاتل
أأنساك لا والله يا ابن محمد .... إلى أن يهيل الترب فوقي هائل
أصبر نفسي إن تفيض دموعها .... وبيني وبين الصبر عنك مراحل
أما كان لي من غير عطفك حافظ .... ولي من ندا كفك ظل ووابل
وكنت أنا المدني وغيري مبعد .... إذا اجتمعت يوماً لديك المحافل

ففارقتني والقلب مني ذائب .... عليك ودمعي من عيوني سائل

عليك سلام الله ما انهل واكف .... من المزن أو غنت بأيك بلابل

وصبراً بني المنصور صبراً فإنما .... بكم يقتدي في النائبات الأماثل

لئن رفعت شمس إلى الله منكم .... لقد أشرقت منكم شموس كوامل

وقام بأمر الله منكم مؤيد .... طليع بحق الله في الخلق عادل

إمام يهاب الناس سطوة بأسه .... ويرجوه أيتام الورى والأرامل

[ق/500]

أعز الورى قدراً وأرفعهم علاً .... وأسمحهم إن ظن بالمال باخل

فلا البحر يحكيه إذا جاء سائل .... ولا الطود يحكيه إذا خف جاهل

وعن علمه فاسأل إذا كنت جاهلاً .... تخبرك عنه كتبه والرسائل

ومن رأيه والله يكلأ ذاته .... سيوف على أعدائه وذوابل

إذا امتنعت يوماً علينا مطالب .... بعثنا إليه عزمة فتساهل

أهب إلى نصر الهدى فأجابه .... أكأبر أبناء الرسول الأفاضل

وأشياعهم أرباب كل فضيلة .... ولبته لما أن دعاها القبائل

فذا وارد منهم إليه مبايع .... وذا صادر يثني الدعاء ويواصل

فيا رب بلغه الذي هو آمل .... وحطة فلا تسطو عليه الغوائل

وألبسه تاج المكرمات فإنه .... حقيق بما قد قال من قبل قائل

وإني وإن كنت الأخير زمانه .... لآت بما لم تسطعه الأوائل

حماية دين الله جل جلاله .... أدافع عنه جاهداً وأنازل

وإنصاف مظلوم وتشريد ظالم .... بكفرانه الآن بي يقاتل

ونشر علوم الآل صلى عليهم .... ألا همهم ما حن عود مطافل

وإني لعبد خاضع لجلاله .... على عنقي قيد المذلة جاعل

ودم يا أبا يحيى مدى الدهر سالماً .... لعزتك القعساء يعنو المطاول

ودام لنا من إخوة لك سادة .... غطارفة غر حماة مقاول

إذا ما انتدوا يوم المفاخر أخرسوا .... بذكر المعالي عنهم من يفاضل

وإن ركبوا يوماً فمن ذا يصاول .... وإن بذلوا يوماً فمن ذا يساجل

هم السابقون الخلق في كل غاية .... ولا غرو إن جلوا وأعيت فساكل

ودمت لهم كنزاً وداموا لنا غناً .... يذاد بهم بؤس ويخصب ماحل

يتلوها مرثية السيد العلامة شمس الدين أحمد بن محمد بن صلاح بن يحيى القطابري أطال الله بقاه وأعاد من بركاته:

خطب ألم بأهل الأرض عن كمل .... ففرج الله ذاك العسر في عجل

فالعين تبكي من غم ومن حزن .... وألسن تضحك من روح ومن حذل

فاعجب لرزء عظيم الشأن خالطه .... غوث أغاث بني الدنيا بلى مهل

[ق/501] وذلك الخطب إن تثبت كراهته .... بالجبر هذا فهذا غاية الأمل

ولوعة الكرب ممزوج بغصاصها .... بسلوة القلب عن ورع وعن وحل

وفي الجوانح نار الحزن يشعلها .... وبرد ماء الرضاء يطفيء لظأ الشعل

وكل قلب له في حال علته .... ذكر يسر به يشفي من العلل

وفي الوجوه انتقاع من كآبتها .... والبشر يلبسها عن كدرة الخجل

أمران ما لهما ند لعظمها .... ضدان قد مزج المر بالعسل

إمام حق ثوى اختيار الإله له .... فقام من بعده من ليس بالوكل

ذاك الإمام دعاه الله تكرمة .... وذا إمام دعا أربى على زحل

ذاك الإمام الذي عمت رزيته .... وذا الذي ذاد عن زيغ وعن زلل

ذاك الذي هد ركن الدين مصرعه .... وذا الذي شاده بالبيض والأسل

لأن فقدنا إماماً كان قدوتنا .... فقد وجدنا إمام العلم والعمل

لأن دهينا بخطب جل موقعه .... فقد شفينا بجبر الحادث الجلل

لأن مضى القاسم المولى الإمام لقد .... أبقى لنا خلفاً للمؤمنين ولي

يا دهر أن رعتنا فيمن قبضت فقد .... جادت يداك لنا عن ذاك بالبدل

مثلاً بمثل يداً يادهر نابيد .... فهل لذلك يا للناس من مثل

لكن أنا شدك الرحمن كيف سطت .... أيديك إذ فتكت في ذلك الرجل

وكيف نلت الذي قد نلت منه فلم .... تجرع لمصرعه المشجي ولم تهل

أما علمت بأن الله فضله .... على البرية من حاف ومنتعل

أما علمت بأن الله أكرمه .... واختصه بالهدى من خاتم الرسل

أما علمت بما قد حاز من شرف .... وراثة من أمير المؤمنين علي

أما علمت بأن الدين قام به .... وكان أشفى على التعطيل والخطل

أما علمت بما أحياه من سنن .... برغم كل شقي فاسق دغل

وما أمات بعون الله من بدعٍ .... بلا توانٍ ولا عجز ولا ملل

أما علمت بأن الأرض طهرها .... من كل رجس بسهل القاع والجبل

[ق/502]

هلا قبلت الفدى منا بأنفسنا .... وما لدينا من الأموال والنفل

هلا قبلت الفدا بالكل من ولدٍ .... ومن حميم ومن صحب ومن خول

هلا قبلت الفدا من بالناس أكثرهم .... فرب فرد يفي بالخلق عن كمل

لكن حكم إله العرش ليس له .... رد بمكر ولا شيء من الحيل

وأمره نافذ فبنا بأجمعنا .... وملحق أخريات الناس بالأول

ولا مجال لحي الخلود ولو .... علاية المجد أعلى شامخ القلل

لو كان بالمجد تخليداً لدى شرف .... لم يبرح الدهر مولانا ولم يزل

فأحملي جزعاً يا نفس واصطبري .... فالمرء ما عاش إلا بعد وامد الأجل

لأن ثوى القاسم المنصور أن له .... نجلاً كريماً بفضل المكرمات جلي

مضى وأبقاه فيننا كي يكون لنا .... عزاً إذا رامه الأعداء لم ينل

فقام فينا بأمر الله منتصباً .... من عز لا خور فيه ولا ميل

فضم شمل ذوي الإسلام مجهتداً .... لله من ناعش للدين ممتثل

وحل عقدة روع كاد يهلكنا .... لولا تدارك لطف الواحد الأزل

أعني المؤيد مولانا الذي شهدت .... له الخلائق في الأمصار والحلل

من زاده الله تعظيماً وألبسه .... من الخلافة حتى أشرف الحلل

لازال يزداد تأبيداً وبسط يدٍ .... على نعيم جزيل دائم هطل

نعم وحاشاه ممن يعزيه إذا .... وأن يحل به شيء من الحلل

كذاك أخوته السادات أن لهم .... أعلى المراتب في مجد وفي نبل

سادات آل رسول الله قادتهم .... فالنص فيهم بأنواع الكمال جلي

شم الأنوف مطاعيم مطاعنه .... حاموا الخلائق بالخطية الذيل

أبوهم القاسم الزكي وصنوهم .... داعي الأنام لا هدي واضح السبل

فهل لذي الفخر من مثل ومن شبه .... حاشاه عن مثل ما كيَّف العذل

فالله يحفظه يكلأ ويحفظهم .... له كفاة مضاة القول والعمل

وقد أسر الذي في السجن طال به .... ما ذاق بالمنع من غم ومن ثقل

نرجوا من الله من افراجه سرعاً .... كسرعة اللمح بالأبصار والمقل

نعم ولا زال عون الله ينصرهم .... على المعادين أهل المكر والغيل

ثم الصلاة على المختار من مضر .... ما سبح الله في الأسحار والأصل

وآله الطيبين الطاهرين معاً .... ما غرد الأيك في صبح وفي طفل

ومن ذلك أيضاً قول القاضي الأجل الأكمل الأعلم الفصيح المقول[ق/503] سعد الدين بن الحسين المسوري رحمه الله تعالى:

الحمد لله على ما أراد .... ليس لحكم الله في الخلق راد

وإن رزينا فلنا أسوة .... بشافع العالم يوم التناد

ما هذه الظلمة ماذا السواد .... ما هذه الحيرة ماذا السهاد

ما للعيون استعبرت بالبكا .... هل حشيت أجفانها بالقتاد

ما بالها تبكي عقيقاً وما .... تكتحل أجفانها بالرقاد

ما لوجوه الغر من هاشم .... كأنما سف عليها الرماد

ما للكرام الشم من يعرب .... قد ألبست كرهاً ثياب الحداد

ما لليتامىمثل فقع الفلاة .... ذلاً وكانوا قد أنيلوا المراد

ما للمساكين غدت حيرة .... تهيم مثل الهيم في كل واد

ما لعلوم الآل أضحت كذا .... مهجورة بعد الهدى والرشاد

ما للمحاريب وأربابها .... كأنما قد رميت بالكساد

ما لبني المختار لم يصبروا .... والصبر من مثلهم يستفاد

ما لذوي الحبر وقد أصبحت .... تذري دموعاً من سواد المداد

ما للعذارى أصبحت ثكلاً .... ولم تمخض ليلة عن ولاد

ما لجميع الخلق لم يكففوا .... دموعهم بل أصبحت في ازدياد

ما للمواضي ثلمت حدها .... كانت بعهدي ماضيات حداد

ما لجياد الخيل قد فسكلت .... وقبل كانت سابقات جياد

أهذه الساعة قد فاجأت .... أم هذه أشراط يوم المعاد

أم صدق الناعي بما قاله .... فهذه عظمى رزايا العباد

إن كان حقاً ما أتى أنه .... جزعنا أم اللهيم النآد

يا ويحه كيف نعى من نعى .... لقد أتى بالمعظلات الشداد

مات الذي كنا به نتقي .... حر وطيس الحرب يوم الجلاد

مات الذي كان غياث الورى .... إذا استغاثوا بالسنين الجماد

إمامنا المنصور بالله من .... دل على طرق العلا والسداد

فيا عباد الله نوحوا على .... من كان براً بكم يا عباد

[ق/504] يا يومه كيف فجعت الورى .... هل أنت في الأيام يوم التناد

مات أمير المؤمنين الذي .... سعى إليه الناس مثل الجراد

لا غرو إن مات لنا أسوة .... بجده ثم أبيه الجواد

هل هاجه شوق إلى صنوه .... الحسن المحيي لكنز الرشاد

وصحبه مثل عماد الهدى .... يحيي الذي قد كان نعم المعاد

وغيره من فضلاء الورى .... أشياخ علم منهم يستفاد

تتابعوا طراً بعام معاً .... لا كان ذاك العام مما يعاد

والناس في الموت كخيل الطراد .... فالسابق السابق منها الجواد

والموت نقاد على كفه .... جواهر يختار منها الجياد

لكننا لم نستطع بعده .... صبراً وليت الصبر عنا أفاد

حمداً لرب حكمه نافذ .... فما لحكم الله في الخلق راد

والحمد لله على ما قضى .... والحمد لله على ما أراد

يا معشر الإسلام لا تقنطوا .... فإن لله تعالى مراد

يا أيها الناس اتقوا ربكم .... فإن تقوى ربنا خير زاد

وبعد فالمسؤل من ربنا .... دوام مولانا طويل النجاد

العالم العلامة المنتقى .... موطؤ الأكناف جم الرماد

من أجمع الناس على فضله .... وفاق أهل العصر طراً وزاد

محمد من مثله في الورى .... من شيد الدين الحنيفي وشاد

من جاءه يسأل عن علمه .... راح وقد ألقى إليه القياد

أو جاءه يسأله حاجة .... عاد بطين الخرج مما أفاد

أو جاءه يسأله صفحة .... عن ذنبه من عليه وجاد

جاد على العالم فاستبشروا .... بكثرة الخير ومن جاد ساد

ساد جميع الناس لما غدا .... مطهر الفعل مزيل الفساد

فيا أبا يحيى بلغت المنى .... وكلنا يبلغ منك المراد

ويا نصير الدين أنت الذي .... لولاه ركن الدين قد كان ماد

يا حارس الإسلام أنت الذي .... حفظت هذا الدين عن أن يكاد

[ق/505] سيغلبون، ولما أتتهم العاديات بالقارعة، دهمتهم لشدة ذلك الغاشية، وحين علموها الحاقة طفقت كل فرقة منهم جاثية، ولما نازلهم حمام الحقيقة ضاق علي نازلهم المجاز، وأجروا تلك القضايا على القياس، وحكموا فيهم السيف فجاز، فلله تلك الفتية الهاشمية التي ما برحت رافعة لأعلام الهدى، مسقية لأعداء الله مياة الردى، وما برح فيهم اللاحق يقفو السابق والولد ينحو أثر الوالد الصادق، ولله القائل:

شابه معدي أباه في الكرم .... ومن مشابه أباه فما ظلم

والآخر:

ويربي ناشيء الولدان فينا .... على ما كان عوده أبوه

فرعياً لها فرقة ما زالت من مظالم، ورفعت من مآثم، فجزاهم الله أحسن الجزاء، وأخزى أعداء دين الله أخشن الجزاء، فلا برحوا يرفعون ما انخفض من أحوال المسلمين، ويعرفون ما نكر من أعلام الدين، ويمنعون حمى الإسلام بالعدل الظاهر والمعرفة، ويصرفون عنه كل

على ويصفونه بكل صفة، بمن الله ذي الإفضال، وبمحمد وآله خير آل، علم ما من الله به على عباده من النعم، وما أفاضه على بلاده على أيدي أهل هذا البيت الأكرم، فحمد الله تعالى جزيل الحمد وشكر، وعرف نعم الله تعالى وادكر، ودعا لمن جاهد في الله حق جهاده، وسعى في إصلاح عباد الله وبلاده، ولمن جمع تلك الفضائل في هذا الكتاب، والغزوات الهائلات الصعاب.

وقائع من بدر آل النبي .... يذكرك النهروان وصفينا

يقول للراوي بها لا تصف .... في تلك من هول وصف فينا

ولما هزه هذا الكتاب طرباً، وملأ أحشاءه عجباً، وتمتع بروحه وريحانه، وارتاح برياضه وجنانه، أخذ القرطاس واليراع، وكتب مع قصور الباع:

يا أيها السفر الذي قد حوى .... ما لم يحزه قبله من كتاب

لله منشيك الذي لم يزل .... يودع في طيك أياً غراب

قد جرت في ذا السفر يا سادتي .... والدهر يأتي أبداً بالعجاب

آمن لآل صيغ أم عسجد .... أم عسل ألفاظه أم رضاب

أم روضة هاتيك أم جنة .... لكل عين ما عليها حجاب

[ق/506]

أم تلك أزهار على دوحة .... أم ذاك تبر أم لجين مذاب

يا نثرها الحالي ويا نظمها .... السعالي ويا جوهر ذاك الخطاب

إن زكاة الحسن قد أجوبت .... عليك لما جرت كم من نصاب

سحرتني أطربتني صرت من .... حسنك حيراناً فما لي جواب

ماذاك نثراً ونظام بلى .... راح بكاسات علاه حباب

فقد حوى أخبار آل النبي .... الأطهار من خصوا بنص الكتاب

كالقاسم المنصور سم العدا .... وفارس الهيجا ليث الضراب

محيي رسوم الدين من بعدما .... أضحت مباينة جميعاً خراب

قام فجلى نوره ظلمه الفحشا .... وأحيا الدين بعد الذهاب

أزال قوماً ما اتقوا ربهم .... ولاخشوا في الحشر سوء الحساب

كم فاحش جاءوا به ظاهراً .... وكم رؤوس أذهبوا عن رقاب

فقام فيهم قاسم قاسماً .... هاماتهم حقاً بماضي الشظاب

مفوض الأمر إلى ربه .... وقابل التوب شديد العقاب

وقام لا يرجو سوى الله رب .... العرش ربي من إليه متاب

وإن مولاك يضل الذي .... يشاء ويهدي من إليه أناب

فصال فيهم مثل ليث الشرى .... كم مرة قد أشرقوا باللعاب

وكم همام أسد باسلٍ .... من نسله أنجب أصلاً وطاب

كالقائم الندب إمام الورى .... محمد الهادي لنهج الصواب

كم جرع الأعداء من غصة .... أبدت أموراً هائلات صعاب

ضاءت به الأقطار وازينت .... وظلت الآفاق طراً رواب

والسادة الأطهار أصناؤه .... كأنهم عن كمل أسد غاب

فاذكر علياً ذا السماحات .... والمقتول ظلماً في زمان الشباب

مع حسن ذي الفخر من .... طبقت شهرته والذكر كل الوطاب

يا حسناً بالعلم سدت الورى .... فتحت من مشكلة كل باب

طهرت أرض الله من مارق .... شردت في الآفاق أهل الكذاب

كذا حسين ذو الحجا من غدا .... لعلم آل المصطفى كالعباب

يخوض بحر العلم طوراً وبحر .... الضرب طوراً قاطعاً للرقاب

[ق/507]

وأحمد ذو الفضل من قرعت .... أعداؤه من فعله كل ناب

ما برحوا يسقون أعداءهم .... كأس المنايا والغصيص الشراب

كم مزقوا في الأرض أعداء دين .... الله بالسمر وخيل عراب

كم حكموا فيهم رماح القنى .... تصميمهم شزراً وكم من سكاب

وسابغات مسردات ومن .... بنادق تصرعنكم من مصاب

وكم جيوش مثل سراب القطا .... حلت ومرت مثل مر السحاب

كم بطل فيهم وكم ضيغم .... يرمي الأعادي أبداً كالشهاب

ما طمع الأعداء فيهم سوى .... ما يطمع الطامي بلمع السراب

وكمل الباري بنور من الآل .... إمام خير داع مجاب

القائم إسماعيل نور الهدى .... والدافع الكرب إذا الخطب ناب

أكرم به من طود علم سمى .... أكرم به من ليث حرب نقاب

لا زال في العالم يحيي به .... ما جاء في السنة أو في الكتاب

ولا أزال الله عنهم بني المنصـ .... ـور يحموا الخلق مما أصاب

هم أهل بيت طاهر لم تزل .... نعماؤهم طوقاً بكل الرقاب

هم سادة سادوا وشادوا منار .... الدين فالأجرهم والثواب

فازوا لدى الرحمن في جنة .... طوبى لهم فيها وحسن المآب

وفاز أعداهم بتخليدهم .... في النار يسقون أشد العذاب

وإن ذا المجد وفخر الهدى .... مطهراً نجل الكرام النجاب

أبقى لهم ذكراً غدا طيباً .... مخلداً في طي هذا الكتاب

وأوضح الإنكار من فخرهم .... فما على أوجهها من نقاب

وألبس العلياء من ذكرهم .... والدين والدنيا ثياباً قشاب

فالله يجزيه ويعطيه في .... الدارين ما يأمله من طلاب

هذا وصلى ربنا دائماً .... على شفيع الخلق يوم الحساب

ما غرد الطير على أيكة .... وما تلى التالون أم الكتاب

حررت في أيام خلافة مولانا أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن أمير المؤمنين حفظه الله آمين.

قال منشي هذه الأبيات: فرغت من إنشاء هذه القصيدة لعشر مضت من شهر [ق/508] ربيع الأول سنة خمسة وستين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام.

ملحق: مؤلفات الإمام القاسم بن محمد

الوصية السنية الزكية

المقنع في علم أصول الدين المطلع على مذاهب العلماء المتكلمين.

مرقاة الوصول إلى علم الأصول.

مستخرج كتاب التفريع.

نبذة في تفسير القرآن.

كتاب ذم الأهواء والأوهام.

بحث في من كمل عقله من الأطفال.

التحذير للعباد من معاونة أهل البغي والفساد.

تفسير القرآن.

الجواب المختار على مسائل عبد الجبار.

جواب السؤالات الصنعانية عن الاختلافات الاعتقادية.

الدرر في معرفة الله سبحانه وتعالى.

طرفة الراغب في الإعراب عن مقدمة ابن الحاجب.

القصيدة المرسومة باستفتاح الفرج.

مرقاة الطلاب إلى علم الإعراب.

أربعون حديثاً في العلماء والمتعلمين.

الإرشاد إلى سبيل الرشاد في طريق أعمال العباد عند فقد الاجتهاد.

أساس الأساس لما يجب تقديمه من صحيح عقائد الأكياس.

الأساس لعقائد الأكياس.

الأساس المتكفل بكشف الإلباس.

أسانيد الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد.

الاعتقاد بحبل الله المتين القاضي بإجماع المتقين.

أبيات في ذم الفتن.

الإجازات في تصحيح الأسانيد والروايات.

بحث في كتاب الشافي وسبب تأليفه.

بغية الطالب وتحفة الراغب في الأحاديث الأربعين المتزعة من أمالي أبي طالب.

القصيدة الفريدة.

الكامل المتدارك في بيان حال الصد في الهالك.

حتف أنف الآفك.

نقل بعض طرق الإمام القاسم في الإسناد.

القصيدة المرسومة باستنتاج الفرج.

جوابات أمير المؤمنين على مسائل الشاك في القرآن.

سؤالات والجواب عليها .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

1- الجنداري، أحمد بن عبد الله: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي تبريز، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء. رقم (2524).

2- الشرفي، أحمد بن محمد: اللآلئ المضيئة، دار المخطوطات، المكتبة الغربية،صنعاء.

3- عامر، محمد بن عامر: بغية المريد، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء ، رقم (1512).

4- القاسمي، يحيى بن علي: بتسمية الإفادة في تأريخ الأئمة السادة، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، رقم (1152).

5- ابن لطف الله، عيسى: روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء رقم (2132).

6- المهلا، الحسين بن ناصر: حسنة الزمان في ذكر محاسن الأعيان، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم (1536).

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

1- الإرياني، مطهر علي: المعجم اليمني في اللغة والتراث، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996م.

2- الأكوع، إسماعيل بن علي: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1993م.

3- الأكوع، إسماعيل بن علي: هجر العلم ومعاقله في اليمن، 5 أجزاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1995م.

4- الأكوع، إسماعيل بن علي: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي،الطبعة الثانية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1988م.

5- الآنسي، عبد الملك بن أنس: إتحاف ذوي الفطن في مختصر أنباء الزمن، تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافي، منشورات جامعة صنعاء، صنعاء، 1981م.
6- أمين، أحمد: ضحى الإسلام، القاهرة، 1979م.
7- أوغلو، أكمل الدين إحسان (وأخرون): الدولة العثمانية تأريخ وحضارة، المجلد الثاني، مركز الأبحاث للتأريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول ، 1999م.
8- أوغلو، عبد القادر (وآخرون): السلاطين العثمانية، ترجمة محمد جان، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1990م.
9- أنيس، د/ إبراهيم (وآخرون): المعجم الوسيط، المجلد الأول، دار المعارف، مصر ، 1972م.

10- د/ البحراوي، أحمد عبد اللطيف: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البحر الأحمر، دار التراث، القاهرة، 1399هـ/ 1979م.
11- البخاري، أبي عبد الله بن إسماعيل،صحيح البخاري، دار مطابع الشعب.
12- براود: ك. خ: اليمن في أوائل القرن السابع عشر (مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الانتصاري لجنوب الجزيرة العربية 1613 - 1630م، شركة أ. ي، بريل، ليدن،1988م.
13- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية)، دار المعارف ، القاهرة، 1959م.
14- البيهقي، أبي بكر أحمد: السنن الكبرى، دار صادر، بيروت، 1346هـ.
15- الجرافي، عبد الله بن عبد الكريم: المقتطف من تأريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1984م.
16- الجرموزي، المطهر بن محمد: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرابة الأخبار، تحقيق عبد الحكيم عبد المجيد الهجري، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن،

2001م.
17- جلي، أحمد محمد: دراسة عن الطرق في تأريخ المسلمين والخوارج والشيعة، الطبعة الثالثة، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1998م.
18- الحاكم، الناسبوري: المستدرك على الصحيح، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1990م.

19- الحبشي، عبد الله محمد: مصارد الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمن، صنعاء، 1978م.
20- ابن حجر، أحمد: لسان الميزان، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي، 1406هـ.
21- الحجري، محمد بن أحم: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، مجلدين، دار النفائس، بيروت، 1984م.
22- الحسيني، السيد أحمد: مؤلفات الزيدية، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، 1413م.
23- حنبل: أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
24- د/ خليل، إبراهيم: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، (1516-1916م)، جامعة الموصل، العراق، 1403هـ/ 1983م.
25- أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، شرح وتحقيق الدكتور السيد محمد سيد (وآخرون)، دار الحديث، القاهرة، 1999م.
26- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق الدكتور يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983م.
27- راشد، أحمد: تاريخ اليمن وصنعاء، ترجمة حمدي إبراهيم عبد الرحمن، العراق، 1292هـ.

28- د/رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني غلمجلة نابليون بوتايرت (1516-1798)، الطبعة الأولى، دمشق، 1967م.

29- زبارة، محمد بن علي: ملحق البدر الطالع، دار المعرفة، بيروت.

30- زبارة، محمد بن علي: نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر للهجرة (نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف)، الطبعة الثانية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1985م.

31- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،1984م.

32- أبو زهرة، محمد: دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، درا الشعب.

33- أبو زهرة، محمد: تأريخ المذاهب.

34- سا لم، د/ سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (1538-1635)، المطبعة العالمية، القاهرة، 1971م.

35- سا لم، د/ سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن (1538-1635)، الطبعة الثالثة، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1978م.

36- السالمي، محمود: محاولة توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين الأول (1045-1097هـ/1635-1685). (الدولة القاسمية)، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، سوريا، 2000م.

37- السبيطلي، د/ محمود: الصراع الدولي في البحر الأحمر الدولة العثمانية والأئمة في تأريخ اليمن الحديث ، صنعاء، 1998م.

38- السيد، د/ أيمن فؤاد: مصادر تأريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1974م.

39- الشامي، أحمد: تأريخ اليمن الفكري في العصر الإسلامي، الجزء الأول.

40- شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي، الجزء الرابع، مطبعة المحمدية،1967م.

41- شرف الدين، أحمد حسين: دراسات في أنساب قبائل اليمن، الطبعة الثانية، الرياض، السعودية، 1981م.
42- الشكعة، د/ مصطفى: إسلام بلا مذاهب، الطبعة الثالثة، 1979م.
43- الشناوي، د/ عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1997م.
44- شهاب، حسن صالح: عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990م.
45- الشهرستاني، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1981م.
46- الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1419هـ/ 1998م.
47- صابات، د/ سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/2000م.
48- صبحي، د/ أحمد محمود: المذهب الزيدي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981م.
49- الصنعاني، عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب الإسلامية، بيروت، 2000م.
50- ابن أبي طالب (الإمام)، علي: نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، دار التعاون، بيروت.
51- الطبراني، سليمان بن أحمد: الجامع الكبير، بغداد- العراق .
52- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، درا الفكر.
53- العرشي، حسين أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك

وإمام، نشرها وحققها الأب، انستاس ماري الكرملي، مطبعة البرتيري، القاهرة، 1939م.
54- عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.
55- عفيف،أحمد جابر (وآخرون): الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 1412هـ/1992م.
56- العمري، د/ حسين بن عبد الله: مصادر التراث اليمني في ....المتحف البريطاني، دمشق، ....1980م، دار المختار.
57- ،، ،، ،، : مائة عام من تأريخ اليمن الحديث، .... دار الفكر،دمشق، 1984م.
58- ،، ،، ،، : تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (1516-1918م)، دار الفكر، ط2. دمشق، 1999م.

59- الغالبي، سلوى سعد:الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1411هـ/ 1991م.
60- أبو غانم، د/ فضل علي: القبيلة والدولة في اليمن، مطابع الكتاب المدرسي، صنعاء.
61- القاسم، محمد بن علي: الاعتصام بحبل الله المتين وحرمة التفرق في الدين، تحقيق يحيى عبد الكريم الفضيل، المجلد الأول، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، الأردن، 1403هـ/1983م.
62- القاسم، محمد بن علي: الأساس لعقائد الأكياس، تحقيق البير نصرناد، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1980م.
63- القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الثاني، دار العربي، 1388هـ/1968م.
64- القاسم، يحيى بن الحسين:رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الهلال، القاهرة، 1971م.

65- الكبسي،محمد بن إسماعيل: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، الطبعة الأولى، مطبعة دار السعادة.
66- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
67- لقمان، حمزة علي: تأريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1985م.

68- ابن ماجه، أبي عبد الله محمد: سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث،بيروت، 1985م.
69- ماكرو، أريك: اليمن والغرب،تعريب د/ حسين بن عبد الله العمري، دمشق، 1978م.
70- المتوكل، إسماعيل بن أحمد: مختصر طيب أهل الكساء، تحقيق عبد الله الحبشي، مطابع المفضل، صنعاء، 1990م.
71- المحبي، محمد أمين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الجزء الثالث، بيروت، دار صادر.
72- المحبي، محمد أمين:نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الجزء الثالث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1388هـ/1968م.
73- محمدي، كاظم: (وآخرون): المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، 1989م.
74- المداح، أميرة: العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن (1006-798هـ/1029-1620)، دار تهامة، جدة، 1982م.
75- المقبلي، صالح بن مهدي: العلم الشامخ في تفضل إيثار الحق على الآباء والمشائخ، الطبعة الثانية، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، 1985م.
76- المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مجلدين، دار الكلمة

للطباعة والنشر، صنعاء، 1422هـ/2002م.
77- مصطفى، غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، الطبعة الثالثة، دار الأندلس.

78- الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق عبد الله المحبشي، منشورات المدينة، صنعاء.
79- النود، وليد عبد المجيد: قيام الدولة الإمامية في اليمن(قيام الدولة الإمامية القاسمية 1006هـ/1054هـ/1597-1644)، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 2001م.
80- نورس، د/ علاء: دراسات تأريخية عثمانية، دار الفكر المعاصر، صنعاء 1998م.
81- النهرواني، قطب الدين محمد: البرق اليماني في الفتح العثماني (تأريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر)، دار اليمامة.
82- الهاروني، أحمد بن الحسين: الأمالي الصغرى، تحقيق عبد السلام الوجيه، دار التراث، صعدة، 1414هـ.
83- الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد
..................بن علي الأكوع، مركز الدراسات
.................والبحوث اليمن، صنعاء، 1986م.
84- ،، ،، ،، : الإكليل، الجزء الثاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، 1963م.
85- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى: تأريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تأريخ اليمن، الطبعة الثانية، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، 1991م.

86- ويستفلد، ف: جداول السنين الهجري بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة أ.د/ عبد المنعم ماجد، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.

ثالثاً: الدوريات

1- الجنيد، د/ عبد الله حامد: المطهر بن محمد الجرموزي ومؤلفاته عن الدولة القاسمية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد.

2- العمري، د/ حسين بن عبد الله: صنعاء في مرآة الغرب، مجلة الإكليل، العدد الثالث، السنة الثانية، مطابع ألف باء، دمشق، 1403هـ / 1983.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1- ROBERT.L.PLayfair:Ahistory oF Arabia Felix , or yemen Amestram philopers.st , Leonatds. 1970.

2- SERGEANT, R. B. LEW O K . R: SAN A'A AN Arabain Islame ity, WORLD OF ISLami Festival Trust , London , 1983.

3- SERGEANT, R. B: The Poruquese OF South Arabian oas, Lebanon , 1974.

4- TRITON , A. S: IMAMS OF SANA A , OXFord University Press , Lonaon , 1925